

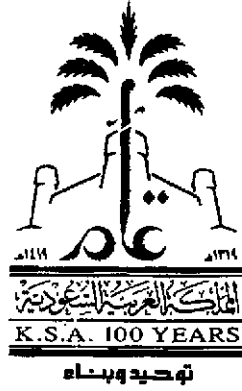


٧٠٠٠٢٢٦

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة



الملك عبد العزيز في مرآة الشعر

تأليف / عبدالقدوس الأنصاري
تقديم أ. د. / محمد مريسي الحارثي

١٤١٩ هـ

صدر بمناسبة مرور مائة عام على الاحتفال بتأسيس المملكة العربية السعودية

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٩ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الأنصاري ، عبد القدوس

الملك عبد العزيز في مرآة الشعر / تقديم محمد بن مريسي الحارثي -
مكة المكرمة .

١٦٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٣ - ٤٠٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - الشعر العربي - السعودية ٢ - عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ،

ملك السعودية - شعر ٣ - الشعر السياسي أ - العنوان

١٩ / ٢٢١٣

ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٨٢

رقم الايداع : ١٩ / ٢٢١٣

ردمك : ٣ - ٤٠٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر

تأليف

عبد القدوس الأنصاري

تقديم

بقلم : أ . د . محمد بن مريسي الخارثي

في أواخر القرن الثالث الهجري ، وفي سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة المصطفى ﷺ ، ولد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في قصر الإمارة بالرياض ؛ ولما بلغ سن التعليم ، نهل من العلم الشرعي أصوله ، ومبادئه ، على يدي أكثر من شيخ ، وتزيا بزى الفرسان في اكتساب صفاتهم ؛ من ركوب الخيل وحسن استعمال السلاح ، فتأصلت في نفس الفتى الشجاعة ، والنباهة ، والحدق ، غريزة ، ومكتسباً وزاده رحيل والده عن الرياض ، وهو في سن مبكرة من حياته ، قوة في تحمل أعباء الحياة ، والبحث عن موطن يستقر هو ، وأسرته فيه ، إلى حين تسنح الفرصة لاسترداد ملك الآباء ، والأجداد ؛ وكانت محاولات والده الأمير عبدالرحمن بن سعود في استعادة إمارة الرياض قد اصطدمت بعقبات ، ومعوقات ، فقد انتصر عبدالرحمن في بعض حروبه ، ومواجهاته مع ابن رشيد ، وانهزم في بعضها الآخر . وكان للدولة العثمانية موطىء قدم ، وبخاصة في الأحساء ، وفي علاقتهم بإمارتي الكويت ، والبحرين مما كان له الأثر في زيادة المعوقات ، وبالتالي في معاودة المحاولات لفتح الرياض ، ثم في تمرس عبدالعزيز على حياة البادية القاسية ، وعلى تأصيل تصوراته السياسية المستندة على الدعوة السلفية الصحيحة . فقد اتصل بحاكم البحرين وأطلعته على بعض معاناة أسرته ، وفاوض أترك الأحساء للسماح له ، ولأتباعه بالإقامة فيها ، أو في أطرافها ، فلم

يؤذن له بذلك ، ورحل مع والده إلى قطر ، ثم إلى الكويت الذي استقرت بها أسرته حتى تم فتح الرياض . وفي الكويت اشتد عود عبدالعزيز السياسي ، ونضجت تصوراته السياسية نتيجة مكثه عقداً من حياته تقريباً ، كان فيه على صلة وثيقة بآل الصباح ، وبزائري الكويت من ممثلي الحكومات المهيمنة أو آنذاك على القرارات السياسية الدولية . وقد ساءت العلاقة في هذه الفترة بين إمارة الكويت ، وابن رشيد ، الذي كان يطمح في الوصول إلى إمارة الكويت بعد أن قويت إمارته في الرياض . فكان هذا الأمر دافعاً لعبدالعزیز إلى الخروج لقتال ابن رشيد الذي سيصبح جيشه في مواجهة ابن سعود ، وابن صباح في آن واحد . لكن النصر كان لابن رشيد على ابن صباح في بعض المواجهات ، مما اضطر عبدالعزيز إلى الانسحاب من الرياض بعد دخولها ، تلبية لدعوة من أبيه ، الذي أدرك بخبرته أن ابن رشيد سيجمع قواه لمواجهة عبدالعزيز ، فعاد عبدالعزيز إلى الكويت وهو أكثر إصراراً على معاودة محاولاته حتى يتم له النصر .

فكان كثير الإلحاح على والده في طلب تسهيل تحركه إلى الرياض من مضيفهم مبارك الصباح ، الذي خبر بطولة عبدالعزيز وأنها مفتاح شخصيته القيادية الشجاعة ، فلم يتردد في تلبية ذلك الطلب . فكانت الإنطلاقة الموقفة المباركة ، الواثقة من نصر الله لها ؛ ولم تكن المسالك البيئية ، والسياسية موطأة الأكناف لعبدالعزیز ، مما حدا بوالده ، وابن صباح أن يترددا في توقعات النتائج ، ويطلبوا إلى عبدالعزيز العودة إلى الكويت ، بعد مواجهته بعض القبائل في الصّمان والدهناء ، وبعض مناطق سدير . لكن عبدالعزيز الذي خبر الحروب ، وعرف كيف يتعامل معها ، كان يتوقع النصر القريب ، وكان عقله ، وقلبه ، وتجاربه الحربية ، والسياسية من الحثيات التي بنى عليها قراراته التاريخية المصيرية ، ومن ذلك قراره

التاريخي الشجاع ، الذي قرر فيه التوجه إلى الرياض ، حتى لو كلفه هذا الأمر حياته ، فما هو إلا التوكل على الله ، ثم العزيمة الرائدة القوية ، وما هي إلا أيام تمر مثقلة بهموم المرحلة ، منذ أن أبلغ صحبه ، ورفاقه في رحلة الفتح رغبة أبيه في العودة إلى الكويت ، في اليوم الآخر من شهر رجب ، سنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والألف للهجرة ، حتى بزوغ فجر يوم الخامس من شهر شوال من العام نفسه ، حين بزغ معه فجر حياة جديدة وفتح مبارك ، وإعلان مولد دولة التوحيد .

ويحتاج الراصد لسيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وما حققه من منجزات حضارية كبرى في أكثر من نصف قرن . منذ فتح الرياض إلى وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، يحتاج ذلك الراصد إلى وقت ، وجهد للموقوف على المصادر ، والمراجع التي تناولت تاريخ الدولة السعودية ، في أطوارها الثلاثة وبخاصة في طورها الثالث ، هذا الطور الذي شهد آفاقاً من الأحداث ، والتمكّن والتوسع ، مما لم يشهده الدوران الأول ، والثاني .

لذلك تجد مهمة الدارس في هذا الشأن مهمة صعبة فيما يخص محاولة الإحاطة بتلك المنجزات ، أو إعطاء بعضها حقها من الدرس والتحليل ؛ وإن كانت ركائز الحكم السعودي ، ومنطلقاته منذ محمد بن سعود ؛ هي المرتكزات المستندة على المعرفة الشرعية ، ديناً ، وسلوكاً ، وتوسيعاً للنظرة إلى الحياة والأخذ بأسباب المدنية ، والتطوير . هذا ما أكده نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ، وهذا ما قامت عليه هذه الدولة منذ جذورها الأولى التي جمعت بين السلطة الإدارية ، والدعوة إلى الله ؛ فاجتمع لها قوة الانتماء العقدي ، وقوة السلطة .

من هنا كانت سيرة عبدالعزيز سيرة رجل أسس أرقى مشروع حضاري عرفته الجزيرة العربية ؛ إذ كان همه بناء دولة عصرية تنشُد الاستقلال ، والنهضة ،

وتتطلع إلى حياة حرة كريمة ، تأخذ من مناشط الحياة ، وأسبابها ما يعضد أصولها الدينية ، وينمى مشروعها المدني . فهو مشروع ينطلق من أصول الدين ، ويعود إليها . إنه تأصيل للحكم الإسلامي الذي يتجاوز النظرة البيعية الضيقة ، أو العصبية التي تفرق ، ولا تجمع .

فقد كانت هذه البلاد ترزح تحت وطأة التخلف ، والضعف بدءاً من تشويه العبادة ، وانتشار البدع ، والخرافات وانهزام الناس أمام سيطرة بعض القوى ، التي وجدت سبباً إلى ظلمهم ، واضطراب الأمن . فكان لا بد أن يأمن الناس على أعراضهم ، وأموالهم ، ودمائهم ، وفق ما يتمون إليه من قيم إسلامية ، لأن ذلك يعد حجر الزاوية في انطلاقة الإصلاح التنموي .

فقد كانت القوى الكبرى في هذه المرحلة (بريطانيا ، وفرنسا ، وأمريكا) . تحكم سيطرتها الاستعمارية على كثير من بلدان العالم ، فكان قَدْرُ عبدالعزيز أن يواجه هذه التحديات العصبية وهو يؤسس حكمه ، فما زاده ذلك إلا قوة ، ومضاء عزيمة ؛ إذ كان مؤهلاً رغم شح الموارد المادية لإقامة دولة قوية في إيمانها بالله على أقل تقدير في ظروف ، ومعوقات لم يخترقها إلا العزم القوي ، والمواهب السياسية النابذة بعد توفيق الله ، ونصره له . ﴿ ولينصرون الله من ينصروه ﴾ فاستطاع أن يتغلب على ما واجهه من مشكلات بحنكة القائد العادل القوي ، حتى استقرت له الأمور ، وأصبحت المملكة العربية السعودية بناءً شامخاً ذا ثقل مؤثر في قضايا الكون المعاصرة .

لقد عاشت الجزيرة العربية في الظل لسنوات عديدة ، فأعاد إليها عبدالعزيز مكانها الطبيعي في حركة التاريخ العربي الإسلامي لتعود كما كانت في ماضيها قبله العالم النابض بالحركة الدعوية والسياسية ، والتنموية .

هكذا قامت المملكة العربية السعودية على مرتكزات المعرفة الإلهية ،
والنبوية ، وعلى الإرث العربي ، والإسلامي ، والإنساني العريق .

وكان هم مؤسس هذا الصرح الشامخ ، وهذه الدولة الإسلامية العصرية
القوية ، أن يبنى دولة قوية ، يكون لها فعلها المؤثر في حركة التاريخ المعاصر ،
تستمد فعلها هذا من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ، المصدرين الأساسيين اللذين
صلح بهما حال المسلمين في أول حياتهم ، وأن ينشر العدل ، والحق بين الناس ،
ويرفع الظلم ، ويقضى على بؤر الجهل ، والفقر ، والأمية التي كانت تضرب
بجرانها على أهل هذه البلاد ، قبل توحيدها تحت راية التوحيد الخالدة ، والأخذ
بالأسباب التي تجعل هذه الديار في مصاف الدول المتقدمة وفي طليعتها ،
واستشراف المستقبل ببصيرة واعية ، وخطط إصلاحية مستقبلية ، تكفل للمواطن،
والمقيم ، والحاج ، والزائر حقوقهم المشروعة ؛ وبناء علاقاتها مع دول العالم على
الثقة المتبادلة ، والصدق في التعامل ، لما فيه خير الإنسان . فكانت الخطوة الأولى
في توحيد المملكة على كلمة سواء ، وفي كيان واحد قوى قادر على مواجهة
متطلبات هذه المرحلة من هذه الحياة الجديدة ، أعقب ذلك الدعوة المخلصة الجادة
إلى جمع كلمة العرب ، وتوحيدهم . وكان هذا الأمر من أكثر الأمور التي اهتم بها
الملك عبدالعزيز ؛ لأن اتحاد العرب الخطوة القوية الأولى لاتحاد المسلمين . ففي
العرب نزلت آخر الرسالات السماوية ، وفي ديار العرب قبلة المسلمين . لذلك كان
الاهتمام الإسلامي الأشمل ، والأكبر ، وهو جمع كلمة المسلمين ، واتحادهم في
مواجهة التحديات التي تعوق حركتهم عن الوصول إلى أهداف الأمة ، وغاياتها ،
وقضاياهم المصيرية . فلم يكن أحب عند عبدالعزيز من أن تجتمع كلمة المسلمين
كما يقول .

وتكمن قوة المسلمين ، واتحادهم في نظره رحمه الله ، في إيمانهم بالله إيماناً صادقاً ، وثقتهم به ، وصدقهم في النصيح لشعوبهم ، والتعامل مع مشكلات الحياة تعاملأ حقيقياً ، وتطبيق الأقوال بالأفعال .

ولم يكن اهتمام الملك عبدالعزيز مقصورأ على مستوى الدول فحسب . فقد تجاوز اهتمامه ذلك إلى الاهتمام بالأقليات المسلمة في غير بلاد المسلمين ، ومنحها الشيء الكثير من رعايته ؛ فقد كان يتطلع إلى أن يعيش العالم كله في سلام ، ووثام ، وأمن ؛ لأن في ذلك الخير كل الخير لشعوب الأرض عامة .

أما السبيل إلى نهضة الأمة ، وتحقيق ذاتها ، ودورها في إثبات هويتها ، ووقوفها عند مبادئها التي تؤمن بها ؛ فإن ذلك لا يتحقق إلا من خلال إرساء دعائم الأمن ، والاستقرار ، ونشر المعرفة الصحيحة المفيدة ، وتنمية الوعي الجمعي القادر على تحقيق متطلبات الحياة باقتدار . ومردّ هذا كله . الإخلاص ، والصدق في العمل ومراقبة الله في السر ، والعلن ؛ فإصلاح الذات طريق إلى إصلاح الآخر .

ونظراً إلى قيام المملكة العربية السعودية على الدعوة السلفية الصحيحة منذ أدوارها الأولى فقد ارتبط لقب الإمام بأمرأء وملوك هذه الدولة ؛ وقد لقب عبدالعزيز بهذا اللقب الذي يجعل أعمال الدولة الإدارية تستند على الدين في منطلقاتها .

وهو لقب يحمل في دلالاته الدينية ، ما كان يتمتع به الإمام عبدالعزيز من معرفة شرعية ، كانت مرتكزه في سياسته داخليأ ، وخارجياً من حيث غيرته على سنن الإسلام ، وحرصه على إقامتها على وجهها الصحيح ؛ ومن حيث غيرته على مقدسات المسلمين وتقانيه في الدفاع عنها .

ولعل أكبر قضية إسلامية شغلت ذهنه ، وتفكيره ، هي قضية فلسطين . فقد ناصر هذه القضية عربياً ، ودولياً ؛ وما فتىء يؤكد في كل مناسبة على قدسية مسرى رسول الله ﷺ ، وعلى هذا الإرث الديني ، وعلى وحدة أرض فلسطين ؛ وأنها أرض محتلة ينبغي جلاء المحتل عنها ، وتسليمها إلى أهلها ، وعدم التفريط في الحقوق العربية فيها ؛ وأن وعد بلفور لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين لا يستند إلى شرعية دولية .

وقد كان حريصاً على أن يكون للفلسطينيين حضورهم المباشر والفاعل في المطالبة بحقوقهم في المحافل الدولية ، والمؤتمرات الخاصة بهذه القضية . وكان الملك عبدالعزيز يدعو إلى مناصرتهم في ذلك ، والوقوف إلى جانبهم ، حتى تقوم دولتهم المستقلة على أرضهم ، وكان يتطلع إلى اتخاذ بعض المواقف الإجرائية الممهدة لقيام الدولة الفلسطينية ، واسترجاع الحقوق العربية كاملة ؛ كمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وعدم تفرغ الأرض من العرب بالهجرة المضادة ، أو بحجة بيعها ، أو استصلاح غيرها مما هو أحسن منها ، أو بأى ذريعة يتذرّع بها المحتل الغاشم .

وكانت تعليمات الملك عبدالعزيز لأبنائه ، وسفرائه في دول العالم أن ينطلقوا في محاوراتهم الدولية في المؤتمرات ، واللقاءات الخاصة بمناقشة القضية الفلسطينية من تلك الأسس التي وضعها ، وأن يؤكدوا دائماً على قدسية هذه الأرض ، وأنها أرض محتلة أعطيت لليهود بغير وجه حق ، لإقامة وطن قومي لهم على حساب تشتيت أهلها الحقيقيين .

لقد حقق عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود لهذه الدولة المملكة العربية السعودية وحدة الدين على هدى من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ فجمع الناس

على اختلاف مشاربهم ، وتصوراتهم على كلمة سواء هي كلمة التوحيد ، وحقق وحدة الأرض في دولة قوية جمعت شتات الناس من بادية ، وحواضر ، وأصبحوا ينتمون إلى أرض واحدة ، بعد تفرق دام كثيراً ، فأخرّهم عن أسباب التمدّن ، والتحضّر .

وكان لا بد لهاتين الوحدتين أعنى وحدة الدين ، ووحدة الدولة أن تجدا من ينهض بهما إلى آفاق المدنية المعاصرة ، وقد كان لهما ذلك . بدءاً من نشر العدل ، والأمن بين الناس ، ووصولاً إلى الأخذ بمقومات الحياة الحرة الكريمة . وكان الاعتماد في ذلك كله على الله سبحانه وتعالى ، ثم على تفاني عبدالعزيز ، وخلفه من أبنائه ، في تنمية هذه الدولة ، والوصول بها إلى دولة عصرية ذات فاعلية مؤثرة في المحافل الدولية .

* * * * *

كان لا بد لمزايا شخصية الملك عبدالعزيز أن تحتل في نفوس الناس المهابة ، والوقار ، وتتمين المواقف الإنسانية ، والمنجزات الحضارية لهذه الشخصية . فسجل المؤرخ ، والشاعر ، والكاتب والمفكر ، والعالم هذا المعطى الحضارى المتميز . وكان عبدالعزيز يحب سماع الشعر ، وقد أثر عنه قوله : (أحب سماع الشعر ، ولكن نوعين منه لا أحبهما : الهجو ، والغلو في المديح) . ويعد كتاب (الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر) لمؤلفه الأستاذ عبدالقدوس الأنصارى من الكتب الجادة التي اهتمت باختيار بعض الشعر الذي تناول جوانب من سيرة الملك عبدالعزيز رحمه الله .

وأصل هذا الكتاب محاضرة أعدها الأستاذ الأنصارى لمؤتمر الأدباء السعوديين الأول ، الذي أقامته جامعة الملك عبدالعزيز (شطر مكة)

- جامعة أم القرى حالياً - سنة اربع وتسعين بعد الثلاثمائة وألف من هجرة
المصطفى ﷺ .

وكان الباعث إلى الكتابة في هذا الموضوع كما أشار الباحث في تقديمه
للكتاب هو : جدة الموضوع ، واندماج سيرة الملك عبدالعزيز مؤسس المملكة
العربية السعودية ، وموحد شملها بأدب الشعر الذي تناول تاريخ هذه المرحلة
المهمة في تاريخ هذه البلاد .

كما أن هذا الموضوع كان من الموضوعات المقترحة ضمن محاور المؤتمر
الأول للأدباء السعوديين . أضف إلى ذلك أهمية منجزاتنا الحضارية المتميزة . وهذا
التمييز هو من توفيق الله سبحانه وتعالى للملك عبدالعزيز ، وتمكين النصر له ،
وتوظيف هذا النصر لخدمة الدين ، والنهوض بأسباب الدنيا ، ومتطلباتها .

وقد قامت مادة هذا الكتاب على بعض الاختيارات الشعرية المحدودة
اختارها المؤلف من سياقها العام في القصائد التي انتظمت فيها أصلاً ، وهي قصائد
قيلت في مدح الملك عبدالعزيز في مناسبات عديدة ، ومتنوعة .

فقد اختار الأستاذ الأنصاري مادة الكتاب الشعرية من إحدى وأربعين
قصيدة ، لعشرين شاعراً من المملكة ، ومصر ، وبلاد الشام ، والهند . قام المؤلف
بترتيب هذه المختارات وفق أسماء الشعراء مرتبة حسب ترتيب الحروف الهجائية
تسهيلاً ، وتيسيراً للبحث ، والقراءة . لذلك لم ترتب القصائد وفق تسلسل
الأحداث ، أو التسلسل الزمني لبنائها .

وقد قسم المؤلف هذه المادة الشعرية قسمين : سَمَّى الأول منهما : (شعر
الملامح) ، وسَمَّى الآخر : (شعر الملاحم) . وقصد بشعر الملامح ذلك الشعر الذي
تناول ملامح البيئة السعودية وقضايا هذه المرحلة التأسيسية للمملكة ؛ من حيث

رصد تلك الملامح داخلياً ، وخارجياً ، بعد قيام هذا الكيان المستند في نظام الحكم على مرجعية المعرفة الشرعية . وشعر الملامح هذا في نظر المؤلف هو الشعر الذي سار على نهج القصيدة العربية ذات الشطرين وهذا الشكل الشعري كان أوفر ، وأكثر من شعر الملاحم .

ففى شعر الملامح حاول المؤلف أن يختار منه ما جمع بين سيرة البطل عبدالعزيز ، وأدبية الشعر ؛ من حيث القيم الفنية وقد اختار أبياتاً متفرقة من أربعين قصيدة ، وجد فيها شيئاً من سيرة الملك عبدالعزيز ، ومكارمه ، ومفاخره ، وبطولاته وسياسته الحكيمة ، وثباته على المبدأ الحميد ، وارتكاز حكمه على شرع الله القويم .

أما قسم الملاحم ؛ فقد اختار المؤلف أبياتاً من قصيدة خالد بن محمد الفرج (أحسن القصص) وهي قصيدة طويلة سمّوها (ملحمة) لطولها ، حيث بلغت صفحاتها في طبعها الأولى إحدى وثلاثين ومائة صفحة ، من القطع المتوسط . وقد أشار الأستاذ عبدالقدوس الأنصارى مجرد إشارة إلى قصيدة بولس سلامة (ملحمة عيد الرياض) .

فذكر أن قصيدة بولس سلامة ، تناولت أحداثاً ، وقضايا جانبية . إذ لم تقتصر على سيرة الملك عبدالعزيز .

وكانت قصيدة خالد الفرج قد نشرها الشاعر في حياة الملك عبدالعزيز سنة خمسين بعد الثلاثمائة والألف ، من التاريخ الهجري . وقد رصد فيها سيرة الملك عبدالعزيز من كتب ، إذ كان الشاعر شاهد عصر . فقد عاصر كثيراً من أحداث تاريخ الملك عبدالعزيز .

ومفهوم شعر الملاحم عند الأنصارى كما قال : (هو الشعر المعروف بشموله لكل من سيرة البطل الذي نظمت فيه الملحمة الشعرية وسيرة أسلافه ، وأوضاعهم ، وسير خصومهم ، وأوضاعهم وانتصاراته الحاسمة ، وهزائمه ، إلى بطولات أخرى مقارنة أو مقارنة ، وإلى أحداث أخرى جسام ، استطاع طائر الشعر المحلق أن يضمها بين جناحيه ، وأن يؤلف بينها ، وأن يربط بعضها ببعض بخيط رقيق دقيق ، من نسيج الخيال المحلق في سائر الأجواء المتألقة ، والقائمة على السواء) .

ويبدو أن الأستاذ الأنصارى قد وضع هذا المفهوم لشعر الملاحم ، وبين يديه قصيدة خالد الفرج (أحسن القصص) فاستمد من بنيتها المعرفية ، والأدبية هذا المفهوم لشعر الملاحم .

ولا نخال المؤلف قد ابتعد كثيراً في تصنيف قصيدتي الفرج وسلامة في دائرة شعر الملاحم فيما يخص طبيعة الموضوع من حيث تناولهما سيرة بطل ، اهتماماً بسرد مآثره ، ومنجزاته الحضارية ؛ غير أنه من اللافت للنظر أن الملحمة في عرف الآداب العالمية جنس شعري عرف بتقنياته المادية ، والأدبية عند اليونان ، والرومان ، كما هما محلمات الإلياذة ، والأوديسا لهوميروس ، اللذان سجلا فيهما هذا الشاعر منفرداً ، أو مع غيره تاريخ الإغريق ، ومثلهم الدينية ، والوطنية في مرحلة من مراحل حياتهم . وملحمة فيرجل الرومانى (الإلياذة) التي تناولت بعض تاريخ الرومان . وهذه الملاحم تعد ملاحم أدبية ، وتاريخية في آن واحد . وفيها تراكمات للأحداث والمواقف التاريخية البطولية اشترك في نسجها الحقيقة ، والخيال ، والبعد الأسطوري ، ومتعلقات ذلك من تصورات دينية ، ووطنية ، بعد أن أسنهم في صنعها على مسرح الحياة مجموعة من الأبطال ، الحقيقيين ، والأسطوريين .

وليس من الضروري أن تتشابه الأمم ، والشعوب في منتجها الأدبي وقضاياها التاريخية ، والوطنية ، وإن التقت بعد ذلك في بعض مشتركات الحياة من تصورات عامة . وليس من الضروري أن يكون في شعرنا العربي ملاحم شعرية ، كما كان الحال عند الإغريق والرومان . فلدينا قصائد طوال سجلت مآثر بعض الأبطال في تاريخنا العربي ، والإسلامي ، كما هو الحال في عمرية محرّم وأحسن القصص للفرج ، وملحمة عيد الرياض لبولس سلامة وسيرة أبي زيد الهلالي الشعبية . هذه قصائد طوال سجّلت بطولات ؛ كان محورها بطلاً واحداً ، أو أكثر من بطل .

ومهما بلغت مثل هذه القصائد من الطول فإن ذلك ليس مبرراً لتسميتها باسم الملاحم ، حتى وإن سماها مبدعوها بذلك تجوّزاً .

أما منهج الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في عرض مختاراته الشعرية فقد حدده في نقاط سبع ؛ ذهب فيها إلى أنه سيعرّف بالشاعر تعريفاً موجزاً ، ثم يورد بعض أبيات من قصائد مختارة ، مشيراً في لمحات سريعة إلى بعض القيم الجمالية في تلك الأبيات ، ومقارناً بين بعض الأبيات متى ما دعت الحاجة إلى ذلك ، ومحللاً مفاخر الملك عبدالعزيز وسيرته التاريخية على ضوء هذه المختارات الشعرية .

وقد كرر الأنصاري بعض مفردات منهجه في الصفحة التاسعة والسبعين من الكتاب ، ولعلّه أحسنّ بأن فصل الأبيات المختارة عن سياقها النظمي في قصائد الشعراء ، لا تبرز اللوحة الشعرية في صورتها المتكاملة ، فيما لو تناول تلك القصائد بشيء من التحليل ومن النظرة الشمولية لها .

والمؤلف على دراية بأن الشعر الذي تغنى أصحابه فيه بمفاخر الملك عبدالعزيز، وسيرته العطرة ، لا يمكن حصره بين دفتي كتاب كان في أصله محاضرة منبرية ؛ نظراً لغزارة المادة الشعرية التي رصدت سيرة الملك عبدالعزيز .

وما ذهب إليه المؤلف من أن الإحاطة بالشعر الذي تناول منجزات الملك عبدالعزيز من الكثرة بمكان بحيث لا يمكن حصره في هذا الكتاب هو عين الحقيقة .

انظر مثلاً إلى عدد الشعراء السعوديين الذين مدحوا الملك عبدالعزيز ، وأشادوا بمزاياه الشخصية ممن لم يشر إليهم هذا الكتاب من أمثال عبدالله بن خميس ، وعبدالله بن أدريس وعبدالله بالخير ، ومحمد حسن عواد ، ومحمد حسن ققى ، وإبراهيم أمين فوده ، وسعد البواردي ، وغيرهم كثير .

ثم انظر إلى غزارة شعر احمد إبراهيم الغزاوي في الملك عبدالعزيز . وكان المؤلف قد بدأ كتابه بمختارات من شعر الغزاوي الذي مدح الملك عبدالعزيز بسبع وستين قصيده وورثاه في قصيدة واحدة . بينما بلغت أبياته المختاره في كتاب (الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر) ثلاثة وثلاثين بيتاً ، بمعدل بيتين تقريباً من كل قصيدة قالها الغزاوي في سيرة الملك عبدالعزيز ، وهذه الأبيات الثلاثة والثلاثون ليست هي الأبيات المحمولة بمزايا الملك عبدالعزيز . فلو نظرت إلى ميمية الغزاوي في مدح عبدالعزيز ، وكانت مناسبتها من أجلّ المناسبات ، وأشرفها ، وهي مناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول ، الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز ؛ لوجدت أن أبيات هذه القصيدة قد بلغت واحداً وأربعين بيتاً اختار منها الأستاذ الأنصاري ثمانية عشر بيتاً . وقد تناول الغزاوي في سبعة أبيات من هذه القصيدة ، وهي فاتحتها معاناته البائسة التي لم تحقق بعض غاياته ، ومآربه ، وهي معاناة الأمة الإسلامية ، التي

جسدّها الشاعر من خلال ذاته ، وكان في البوح بما آل إليه حال الشاعر الذي هو حال أمته شيء من الفرج لقلبه المتجهم ؛ ومن المعروف أن الجهم صفة للوجه الغليظ الكريه وتجهم القلب هو غلظته ، وسواده الممتلىء بالأحزان .

وقد انتقل الغزاوي بعد هذه المقدمة كما كان ينتقل الشاعر العربي القديم إلى غرضه بعد مقدمة القصيدة بفعل الأمر (دع) ليجد في ممدوحه ما هوّن عليه وقع صروف الدهر التي سقته من كأسها مرارة الحياة . وقد أسبغ على الملك صفات الفضيلة ، والشرف ، والوقار ، والشجاعة . فهو إمام الهدى ، وموئل الدين الذي به تحقق عز الإسلام ، والعرب .

وما دام ذلك كذلك ؛ فإن الشاعر قد أخذ يستحث حركة عبدالعزيز الإصلاحية الموقّعة بتوفيق الله لها ، لتضاعف سيرها ، حتى يواصل هذا البطل انجازاته ، ومسيرته ، واثقاً من نصر الله له ؛ وليمض في طريق الرشد الذي اختطه لنفسه حتى يعجنى ثمار جهده المبارك ، ثم يمضى الشاعر في بسط صفات قوة العزم ، ونقاء العزيمة ، وأن ذلك من صفات الأبطال القادرين ، والمؤهلين للتصدي لكل المعوّقات التي تعترض سبيل تحقيق المجد . وأى غاية أشرف من نصر الله سبحانه وتعالى لمن نصر دينه ، فالملك عبدالعزيز لم يطلب الحكم مغنماً ، وهو في شعر الغزاوي في هذه القصيدة صاحب رأى سديد ، وبين جنبه نفس حرة كريمة ، تعانق آفاق العز ، والكرامة ، وتتطلبه أينما كان . وما كان انتزاع الملك بقوة السيف عنوة إلا الطريق إلى أمن المقدسات وسلامة الوصول إليها . لذلك قام حكم آل سعود على نشر الأمن ، وتحقيق العدل ، والفضل ، والتقوى ، وإعلان ببيان شرع الله ، والحكم بما أنزل الله ، وإحياء سنة رسول الله ﷺ .

أقمتم صروح العدل والفضل والتقى

وأعليتم ببيان شرع تهدمها

وأحييتم بالنهج سنة أحمد

نبي الهدى فارتاع من كان مجرماً

وقد أخذ الغزاوي يعدد في قصيدته هذه مزايا الدين الإسلامي الحنيف ،
ويشيد بالمؤتمرين من علماء المسلمين في أبيات ثمانية تناول بعدها بعض صفات
الملك عبدالعزيز ، ومآثره ، وشمائله الفاضلة :

ففيك التقي والبر لله والعلی

وفيك الندى والبأس للناس توأما

وانك في الهيجاء قرم سميع

إذا اشتجر المران كنت المقدماً

وانك غيث والبلاد جديدة

وما أن يحاكي الغيث منك تكراً

أما حائية الغزاوي (يا صاحب التاجين) فقد اختار منها الأنصاري ستة
أبيات . والقصيدة خمسة وعشرون بيتاً كلها في وصف شمائل الملك
عبدالعزیز .

إن شعر الغزاوي في مزايا شخصية الملك عبدالعزيز وسيرته يشكل ديواناً
مستقلاً . فهو أكثر الشعراء تغنياً ببطولات الملك عبدالعزيز ، ومنجزاته المحلية ،
والدولية ؛ حتى سماه بعضهم (حسان الملك عبدالعزيز) . وكان شعره في عمومه
سجلاً حافلاً رصد فيه سيرة الملك عبدالعزيز ، وسجل أحداثها بريشة الفنان

الواصف . غير أن اختيار عدد من الأبيات التي تحمل بعض مآثر الملك عبدالعزيز ، والنظر إليها مستقلة عن سياقها الشعري في القصائد التي انتظمت فيها لا يتيح للراصد فرصة الوقوف على تلك اللوحات الشعرية في صورتها البنائية المكتملة ، مما يفوت عليه إمكانية النظرة التحليلية الكاملة ، التي يتم فيها كشف قيم القصيدة المعرفية ، والأدبية . كما أن هذا الاختيار لبعض أبيات القصائد قد أغفل كثيراً من مآثر الملك عبدالعزيز ، ومفاخره ، وبطولاته التي سجلتها القصائد في عمومها . وكان بإمكان المؤلف ، وهو قادر على ذلك أن يورد أكثر من قصيدة كاملة ، ويضعها تحت مجهره النقدي ، ولو من جانب كشف القيم المعرفية التي تهتم ، خاصة وأن الهدف الأساسي من تأليف هذا الكتاب ، هو رصد سيرة هذا البطل الذي أحيا الدين ، ووحّد البلاد ، وأهلها ، رصداً معرفياً لأننا لم نر لبعض مفردات منهجه أثراً واضحاً في مادة الكتاب كالترجمة للشعراء ، والتعريف بهم . وهي المفردة الأولى من مفردات منهجه السبع التي أشار إليها في صدر الكتاب . وقال إنها تمثل الخطوة الأولى من خطوات منهجه في عرض مادة هذا الكتاب . كما أن المؤلف لم يهتم في تحليله الأبيات المختارة بالقيم الأدبية من حيث لغة الأبيات . فقد كان يعرض انطباعاته التأثرية ؛ اللهم إلا إذا استثنينا بعض إشارات اللغوية السريعة التي أومأ بها أحياناً قليلة إلى لغة الأبيات ، إيماءً لم يقصد من ورائه تحليل العبارة الشعرية صياغة ، كإشارته مثلاً إلى ظاهرة الجناس في مطلع ميمية الغزاوي ، وفي مطلع دالية عبدالمحسن الكاظمي ، وكشرحه لبعض الألفاظ شرحاً معجمياً .

وكذلك الشأن لمفردة المقارنة بين الأبيات المختارة وهي المفردة الرابعة من مفردات منهج الأنصاري ، إذ لم تكن من اهتمامات المؤلف في عرض مادة

الكتاب . إلا إذا كانت المقارنة عنده تعنى أن يذكر المزية الشخصية للملك عبدالعزيز التي توارد على التغني بها ، وإبرازها أكثر من شاعر . فقد كان يذكر بعض ذلك .

ولما كان الهدف الأساسي في منهج الأنصاري يكمن في كشف الجانب المعرفي ؛ فإن الأبيات التي اختارها لعشرين شاعراً من إحدى وأربعين قصيدة ، قد حملت من مفاخر الملك عبدالعزيز ، ومزايا حكمه ما يعدّ أساساً تتعلّق به منجزات عبدالعزيز التي لم ترد في هذه الأبيات المختارة .

لقد كانت شخصية الملك عبدالعزيز ، وإنجازاته الحضارية محل إعجاب الشعراء الذين رصدوا سيرته ، وتواردوا على كثير من صفات هذه الشخصية ، والتغني بمنجزاتها .

وكان المخزون التراثي عند شعراء الملك عبدالعزيز ، التاريخي ، والأدبي وكذلك الأحداث ، والصعاب ، والتحديات التي واجهها الملك ، وقارعها بصبر ، وعزيمة بغية إنقاذ الأمة من الفوضى والاضطراب ، وسعيه رحمه الله في نشر الأمن ، والعدل بين الناس ، وهو ما يعد القاعدة الأساس للتقدم ، والتحديث والأخذ بأسباب الحياة الحرة الكريمة . كان ذلك كله محل تقدير العالم أجمع ، وكان المادة التي متح منها الشعراء رؤاهم التي سجلوا بها معطيات هذه المرحلة التأسيسية من حياة المملكة العربية السعودية . فقد ربط الشعراء سيرة الملك عبدالعزيز بسير الأبطال من رموز الأمة الإسلامية الذين سطوروا تاريخهم في ذاكرة الشعوب بحروف من نور وكانت لهم أفعالهم البطولية في نصرة دين الله . ثم أضافوا إلى ذلك ما تفرّد به عبدالعزيز من مآثر بطولية ، وتواردوا على تأصيل كثير من

الصفات المعنوية الفاضلة التي حققها الملك عبدالعزيز في ذاته ، وفي مجتمعه . فهو إمام الهدى ، وموئل الدين ، وباني صروح العدل والأمن ، وناشر العلم ، ومحقق الوحدة العربية ، وهو صاحب كرم متدفق لا ينضب ، وصاحب نفس حرة كريمة ، وفارس مقدم ، اجتمعت في شخصيته الشجاعة ، والعزم والندى ، والفروسية بكل معانيها . وهذه المزايا الشخصية قل أن تجتمع في شخص واحد بمستوياتها القوية الفاعلة في تجاوز الصعاب . فقد كان يحكم هذه المزايا - عقل ملهم راجح ، وحكمة هادية ، طوعها الإيمان القوى ، والبصيرة الراشدة ، والعلم النافع . وقد كان الأمن والعدل على رأس المزايا الشخصية للملك عبدالعزيز ، وهذه الميزة كانت ملتقى الشعراء المادحين سيرته ، وهذه الإنجازات كان يحرسها بعد الله ملك كثير السهر على حراسة ملكه ، وصيانتته من عبث العابثين .

وبطولة عبدالعزيز هي مفتاح شخصيته ، وانتصاراته التي حققها كانت تصب جميعها في رصيد حماية الدين الإسلامي في المقام الأول :

لكنها عزيمة من فاتك بطل حمى بها حوزة الإسلام والحسب

وظهور الحس الإسلامي في مدح عبدالعزيز كان مرده تمتع هذه الشخصية الفذة بقوة الإيمان ، وفخرها بالانتماء إلى الإسلام . وقد جسّد عبدالعزيز في سيرته هموم أمته ، وتاريخها النضالي الطويل من أجل أن تكون أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم .. وتقدريكم

أشكر للأستاذ الأديب أخي علي محمد العمير صاحب « دار العمير للثقافة والنشر » بمدينة جدة - اشكر له اهتمامه النبيل بإعادة نشر كتاب « الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر » ذلك الكتاب الذي كنت كتبت في مناسبة حافلة بتاريخ الأدب السعودي ألا وهي انعقاد أول مؤتمر للأدباء السعوديين في العالم الذي أقامته جامعة الملك عبدالعزيز في سنة ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة وقد شهدته أكبر تجمع من أدباء المملكة وقدموا إليه زرافات ووجدانا من ارجاء المملكة لِيُعَلِّمُوا بآدابهم في أعمال مؤتمرهم الأدبي الخاص بهم وخدمهم . وكان معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف إذ ذاك ووزير التعليم العالي حالياً قد رأس ذلك المؤتمر الذي أشرف عليه معالي مدير الجامعة المذكور، ووزير الاعلام حالياً الدكتور محمد عبده يماني .. كما ساعد في اجراء تراتيبه الادارية والأدبية نخبة طيبة من رجال وزارة المعارف إذ ذاك وفي مقدمتهم الدكتور محمد زيان عمر .. وانتخب فيه (رواد الأدب السعودي) ومنحوا لقب الريادة الأدبية رسمياً ، وقدمت لهم الجامعة ميداليات ذهبية فاخرة اعترافاً لهم بالريادة هذه .

وكنت قد اخترت أحد موضوعات عرضت على الأدباء الحاضرين في المؤتمر للكتابة فيها - اخترت من بين تلك الموضوعات ، هذا الموضوع : (الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر) - وتسألني لماذا وقع اختياري عليه دون سواه .. فانا مجيبك على سؤالك المفترض بان باعثي على اختياره ما لاحظته من انه موضوع شبه مبتكر في نسجه وحبكه .. فهو موضوع يندمج فيه تاريخ سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة وموحد شملها بأدب الشعر الذي أرخت حياته المثلى في اطاره .

وحدث أن طبعته على نفقتي الخاصة ، وقد أفضل جلاله الملك الشهيد « فيصل » بن عبدالعزيز رحمه الله بالأمر بمساعدتي على نشره .. فنشرته عجللاً ليدرك انعقاد المؤتمر وقراءته فيه .

وحيثما رغب مني الصديق العزيز الأستاذ الأديب علي محمد العمير في أن يتولّى نشره مرة ثانية بشكل أنيق وفي إخراج جذاب سررت بذلك ، فاني على علم بذوق الأخ علي العمير وأعلم ان داره التي ستقوم بنشر الكتاب هي دار ناشئة ميمونة طموح .. واعادة إخراج الكتاب في هذا العالم المعاصر لها أثر بارز في التسويق والتشويق والدعاية له. وفي قبوله واقتنائه لدي الكثيرين من عشاق الأدب وتاريخ السير الكبرى ولا سيما إذا كان ذلك التاريخ مزدوج الشخصية يجمع بين شطري الأدب والتاريخ في مظنته الظليلة المحفوفة بأزاهير الشعر وأفانين نور - بفتح النون - النشر .

وها أنذا أقدم بترحاب نسخة الكتاب المشار إليه إلى الأستاذ العمير راجياً له التوفيق والنجاح المطرد في مهمته الجليلة التي ستكون إن شاء الله احدى الروافد القيمة لتصدر أدبنا وتاريخنا إلى خارج حدود بلادنا ، على ما كانت مجلة المنهل قد طرحته لجمهرة من أدباء المملكة عبر استفتاء عام قدمته اليهم في السبعينات من القرن الماضي .

وبالله التوفيق ..

عبد القدوس الأنصاري

لماذا اخترت هذا الموضوع ؟ « الملك عبد العزيز في مرآة الشعر »

كنت قد استعرضت الموضوعات التي تضمنها الكتاب الذي وجهته جامعة الملك عبدالعزيز بِجُدةٍ إلى الأدباء السعوديين . وكانت تلك الموضوعات قد بلغت سبعين موضوعاً ، فاسترعي نظري بصفة خاصة موضوع (الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر) وذلك أن حياتنا الحاضرة المتجددة المتقدمة المتمددة هي من ثمار توفيق الله جل وعلا للملك البطل العبقري عبدالعزيز آل سعود الذي أسس بجهوده المملكة العربية السعودية ثم وحدها في نطاق وحدة عميقة متجانسة المبادئ والأهداف والاتجاهات مما كان ارهاصاً ميموناً قائماً لفتحة عصر التجديد للمجد العربي والسودد الاسلامي ، فوحدة أبناء المملكة العربية السعودية قلباً وقالباً كان فيها المثال الحي الصادق والنجاح للوحدة العربية والاسلامية الشاملة .. وفي عهد جلالة الملك فيصل رائدنا وقائدنا الميمون النقيب ذي الشيمة والشكيمة العربيتين الماجدتين الماهدتين ، برزت ثمار نهضة المملكة فتصاعدت إلى قمة الريادة العربية والاسلامية في كل مجالات الحياة والتقدم المنشودين . وحق أن شبه الجزيرة العربية بعامة ، وقلبها ورتنها بخاصة ، هي المنطلق دائماً للعرب والمسلمين إلى الصمود والصعود ، والمجد والسودد ، والعلم والقوة .. وآية ذلك واضحة للعيان في هذا الأوان .

تلك البواعث - مجتمعة - هي التي جعلتني أختار هذا الموضوع . وأرجو أن أوفق فيما دونت وفيما كتبت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

هذا وقد رتبت أسماء الشعراء جميعاً على الحروف الأبجدية .. لما في ذلك من تنسيق متبع ، وتيسير للمطالعة والمراجعة ..

بين يدي البحث

تنسيقاً لموضوعات البحث رأيت أن أقسمه إلى قسمين :

أولها : شعر الملامح ..

وأعني به الشعر الذي يصف ويصور ويجسد الشائل واللامح والمفاخر والمآثر ، من (زاوية القصيدة) العربية المعروفة الأبعاد ، المألوفة الجوانب والموازن ، قديماً وحديثاً .. من باب تسمية الكل باسم الجزء .

وثانيها : شعر الملاحم ..

وهو الشعر المعروف بشموله لكل من سيرة البطل الذي نظمت فيه الملحمة الشعرية . وسير اسلافه وأوضاعهم ، وسير خصومه وأوضاعهم ، وانتصاراته الحاسمة ، وهزائمه ، إلى بطولات أخرى مقارنة أو مقاربة ، وإلى أحداث أخرى جسام استطاع طائر الشعر المخلوق أن يضمها بين جناحيه ، وأن يؤلف بينها ، وأن يربط بعضها ببعض ، بخيط رقيق دقيق من نسج الخيال المخلوق في سائر الأجواء المتألقة والقائمة على السواء .

وملموس أن القسم الأول من هذا البحث - وهو شعر الملامح أو القصائد العربية المعروفة قديماً هو أوفر وأكثر ، فقد بلغ عدد شعراء هذا النوع من الشعر العربي الحق - تسعة عشر شاعراً ، تسابقت جيادهم في مجالات بطولة الملك الطيب الذكر عبدالعزيز ، في شعر عمودي عربي أصيل ..

والقسم الثاني من البحث - ولجّه شاعران كبيران فحسب ، وهما : خالد بن محمد الفرج صاحب ملحمة « أحسن القصص » . وبولس سلامة صاحب « ملحمة عيد الرياض »^(١)

هذا وإن صيغتي : « الملامح » و « الملاحم » تجمع بينهما أسلاك دقيقة وقوية ممتدة من منجم الاشتقاق الكبير ..

١ - اكتفينا بعرض نماذج من « أحسن القصص » ملحمة خالد بن محمد الفرج ، لأنها نظمت ونشرت في عهد الملك عبدالعزيز وعرضت عليه في حياته ويبدو أنه أقرها ولأن الشاعر خالد الفرج قد عاصر من كتب كثيراً من أحداث هذه الملحمة فصورها ووصفها بدقة وأمانة ، ولأن ملحمة بولس سلامة مع جودة سبكها فقد تعرضت كثيراً لأحداث خارجة عن نطاق موضوعها .

منهج البحث

أولاً : التعريف بالشاعر المختار بعض شعره تعريفاً موجزاً مركزاً وإبراز خصائص شاعريته في إيجاز .

ثانياً : إيراد مقتطفات مختارة من قصيدة أو قصيدتين أو ثلاث أو أربع للشاعر .

ثالثاً : تحليل تلك المقتطفات وإبراز مراكز الجمال فيها .

رابعاً : مقارنتها بغيرها إذا اقتضي الحال ذلك .

خامساً : تحليل مفاخر الملك عبدالعزيز على ضوء المختار من الشعر الذي قيل فيه والمدون في هذا البحث .

سادساً : دعم الأبحاث بما تضمنه أطرها من مناسبات تاريخية وأدبية ولغوية واجتماعية وعمرانية واقتصادية .. إلخ .

سابعاً : ذكر المصادر والمراجع في هوامش الصفحات .

عشرون شاعراً

لوجمع سائر الشعر الذي قيل في الملك عبدالعزيز - للأبجديات ، ففي عصرنا الحالي لم تنثر درر البيان الشعري على ملك أو زعيم عربي كما نثرت هذه الدرر على عبدالعزيز . وكان لجلالته رأي حكيم موفق في الشعر الذي يحب سماعه ويعجب به ، والذي لا يحب سماعه ، ولا يعجب به ، حيث قال في مأتور كلامه : « أحب سماع الشعر ، ولكن نوعين منه لا أحبهما : الهجو والغلو في المديح ^(١) »

وقد قيل في المثل « ما لا يدرك كله لا يترك كله » أو لا يترك قلبه . وانطلاقاً من حكمة هذا المثل السائر الحكيم قد اخترت قصائد وملاحم شعرية لعشرين شاعراً عربياً ، نظموا عقودها في سيرة جلالته وتغنوا بمكارمه ومفاخره وبطولته النادرة ، وعبقريته وكرمه الحاشي الفياض ، وسياسته العربية الإسلامية الحكيمة ، وثباته على المبدأ الحميد ، والخلق النظيف السديد ، وحنوه على شعبه ، وتأسيسه لهم ، هذه المملكة ، وتوحيده لشمس أبنائها ، وبناء كيان لهم كريم عزيز .

وإذا أردنا أن نحلل شعر هؤلاء الشعراء من حيث جودة البيان ومسالكهم في الشعر ، فإن لنا أن نقول على وجه الإجمال : أنهم ضربوا في آفاق الشعر القديم وفي آفاق الشعر الحديث .. وطائفة منهم جمعت بين القديم والحديث ، وطائفة آثرت الأسلوب الحديث المرتكز على أساس عمودية الشعر وعلى أوزانه العربية الأصيلة الناصعة . وقارىء هذا البحث يستطيع بدرايته ولماحيته أن يدرك من كان ذا أسلوب وتفكير جاريين على المنهج الشعري العربي الأصيل ، القديم ، ومن ضم إليه ما استوعبه من ضروب القول والتعبيرات والمفاهيم الحديثة ، ومن اختص وأثر المنهج الحديث في شعره مع المحافظة على عمود الشعر وأوزانه العربية الخالصة . وقد حللت بحسب إمكاناتي الفكرية والأدبية والمرجعية قصائد هؤلاء الشعراء قصيدة قصيدة ، متخذاً من اقتطافي ما رأيت أنه يمثل (عيونها) استلهاماً ، لفن الشاعر ، كمرآة لمواهبه الشعرية المتجسدة في (المقطوعة) أو الأبيات المختارة ،

١ - مقدمة ملحمة (أحسن القصص) - لناظمها الشاعر خالد بن محمد الفرج

وكمجهر أستكشيفُ في ضوئه الآفاق التي تتجه إليها شاعرية الشاعر، إذ الأثر يدل على انفعالات المؤثر.

هذا البحث الذي أقدمه إلى « مؤتمر الأدباء السعوديين الأول » أقدمه عن طريق هذا المؤتمر، إلى أدباء العرب ، وأدباء العالم الإسلامي ، وإلى أدباء العالم لأنه يتحدث عن زعيم عربي مسلم عظيم ، دوي مجده في الآفاق وترك في الدنيا دويًا ، وبني مملكة ، وأسعد الله به أجيالاً ، وأنقذ به شعباً من تمزق كارب ، وبدل الله به ، تشسته ، وحدة ومقة وائتلافاً .

وليس في التاريخ ما يجذب القلوب المتباعدة إلى التضامن والتآزر والائتنام ، وما يرفع النفوس المتخذة من الضعة والتكاسل ، كناساً لها .. لا تريمُ عنه جولاً - ليس في التاريخ من يرفع المستوى الخاص والعام كاستعراض سير زعماء الإصلاح الكبار، ليقتدي بهم الصغار.. وعبدالعزیز علم شامخ من أعلام الإصلاح العربي والإسلامي في هذا القرن بدون محابة ..



القسم الثاني
شعر الملاحم

أحمد بن إبراهيم الغزاوي

من رأيي أنه إذا عُدَّ فحول الطبقة الأولى من شعراء العرب في هذا العصر فإن أحمد بن إبراهيم الغزاوي بشعره الجزل وطول نَفْسِهِ فيه ، وتمكنه من ناصيته وإلتزامه بصوغه ، في مدى لا يقل عن خمسين عاماً - يُعَدُّ من تلك الطبقة .. ولو جمع شعره من قباطره ومن الصحف والمجلات التي نشرت بها قصائده في المديح والوصف والنسيب والفكاهة والرثاء والاجتماع ، والسياسة ، لجاء في عدة مجلدات .

ومدائحه لجلالة الملك عبدالعزيز سارت بها الركبان في كل مكان ، وهي مدائح تتبع من قلب متفتح ، ومن شاعر راض الشعر وطوعه لفكره . ولذلك منحه الملك الراحل لقب « حَسَّان جلاله الملك » . وفي شعر الغزاوي روح الشعر العربي الأصيل وسأته ، وفيه نكهة قوية من روح الشعر العربي المعاصر في معانيه وفي مبادئه . وقد حملت جريدة أم القرى منذ سنة ١٣٤٥ هـ ألوية قصائد الغزاوي ، ولا يزال شعره قوياً ، ولن يزال إن شاء الله .

والسبب الذي مزج شعره بطعم الشعر الحديث ، يتمثل - كما نرى - في أنه كان يصدر شبابه حينما استنشق أبناء هذه البلاد أريج الأدب الحديث قد اتصل من ذلك الطريق بكبار شعراء العصر إما مباشرة كما هبىء له مع شاعر العرب فؤاد الخطيب ، وأما عن طريق الدواوين الشعرية التي كانت تصدر وتصل إلى هذه البلاد كديوان شوقي وديوان حافظ إبراهيم والكاظمي وأضربهم من فحول الشعر العربي الحديث .

وأحمد بن إبراهيم الغزاوي - كما هو شاعر موهوب - ناثر أديب ، وهو واسع الاطلاع على الكتب وعلى الأدب في شتي فنونه . وما نشر له في الصحافة الوطنية ، وفي الصحافة العربية في الخارج مصداق لما نقول وبخاصة « شذراته الذهبية » المنشورة منذ أمد في مجلة « المنهل » والتي لاتزال تنشر فيها ..

كانت أول قصيدة له في عالم النشر ، بمطلع العهد السعودي هي « ميميته » في الملك
عبد العزيز التي يقول في مطلعها :

ألا تلمني اليوم أن أتكلما فان فؤادي بالأسى قد تكلمنا
ويبدو في هذا المطلع أن الشاعر راعي « الجناس » في قافيته ، والجناس نوع من
أنواع البديع ، جميل إذا خلا من التعسف والتصنع والتكلف ، قبيح ان لم يخجل من
هؤلاء .

ويبدو لي أن الجناس الذي ورد في هذا البيت لا يخلو من انسجام وعفوية ظاهرة
أحلتها المكانة المرموقة .

ثم يقول :

لعلي إذا أبثثت ما بي من ضني أفرج عن قلبي الذي قد تجهما
فاني امرؤ قد أخلق الدهر جدتي وثقفي حتي غدوت مقوما
سقاني من كأس الصروف أجابة وأبسني برؤاً من الرأي معلماً
وكيف أصدُ أهم تفري رماحه حشاي ، وقد غودرت نهبا مقسما

ثم يهجم الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي على موضوع قصيدته فيقول مخاطباً الملك
عبد العزيز :

إمام الهدى لازلت للدين مؤثلاً يعز بك الإسلام والعُربُ والحمي
فسر في طريق الرشد تجن ثماره قريباً فقدماً فاز من قد تقدما

إلى أن يقول :

وانك في أرض الجزيرة مالك من الأمر ما أولاك ربك منعماً^(١)

١ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ذي الرقم ٨٩ الصادر في ١٨ صفر ١٣٤٥ هـ - ٢٧ أغسطس
١٩٢٦ م .

وينطلق في وصف بطولات عبد العزيز التي بوأ الله له بها الملك الطويل العريض ،
فيقول له مُذَكَّرًا بنعمة الله عليه :

ملكتم فجاج الأرض بالسيف عنوة وجاورتم البيت العتيق المحرما
ويقيء إلى ما وهبه الله إياه من عدل وفضل وتقوي وإعلاء لكلمة الله ، جل وعلا ،
ومنازلة للعدوان حيث كان :

أقمتم صروح^(١) العدل والفضل والتقي وأعليتمُ بنيانَ شرع تهديما
وأطلقتمو ما قيد البغي والهوى وقيدتمو ما أطلقاه تحكما
تصوير بارع ، ونسج مشرق ، ووصف رائع ، ومدح مصفى ، قوله :

وأطلقتمو ما قيد البغي والهوى وقيدتمو ما أطلقاه تحكما
ويشيد الشاعر « بالمؤتمر الإسلامي الكبير » الأول الذي دعا إليه جلالته رجالات
العالم الإسلامي فلبوا الدعوة من كل صوب وحذب ، ويقول :

أجاب بنو الإسلام طرا نداءكم « لمؤتمر الشوري » فكان مجسما
وخاضوا عباب البحر كما يشاهدوا حقائق كانت في ذرأهم توها
فلما رأوا ما مئلا العين قررة تولوا بحمد ، أفعم القلب والفما
هذا ومن مميزات شعر الغزاوي أنه يعني بتسجيل الحوادث الكبيرة فيه ، وها نحنُ
أولاء نراه في الأبيات الثلاثة المتقدمة يسجل حادث إقامة المؤتمر الإسلامي الأول في مكة
المكرمة ..

ويختتم الشاعر قصيدته بخطاب العرب فيهيّب بهم من مكة المشرفة ، قائلا لهم :
بنسي العرب فليهنئكم ونصر قبيلكم فما بعد هذا اليوم إلا تقدا
ويستمر في تقديم مزايا حكم ابن السعود للحرمين لهم فيقول عنه :

أعادت به عدنان سابق عهدا فراح بها حادي السري مترنما
فلا تتركوها فرصة ذهبية فقد حان للأمال أن تتبسما

١ - وردت هذه الكلمة في جريدة أم القرى هكذا : (صروف) بالفاء .. ولجافة هذه الصيغة لسياق الكلام اعتقدت
أنها غلط مطبعي ، وأن صحتها هي (صروح) بالحاء المهملة كما أثبتته فوق .

وَشُدُّوا أَوْأَخِيكُمْ وُحَلُّوا جَاءَكُمْ وَقُودُوا إِلَى الْعَلِيَاءِ جِيْشًا عَرْمَرَمًا
الشاعر هنا يقوم بدور الداعية الجهير الصوت إلى الإلتفاف الجماعي الشامل حول
الملك (المُجَدِّدِ) . انه يدعو أخوانه العرب قاطبة في كل قطر ومصر . إلى هذا الإلتفاف
المنقذ حول زعامة ابن سعود التي تقودهم جميعاً إلى العلياء .

« حائيته »

وهذه قصيدة (حائية) غزاوية أخرى ، قالها الشاعر في الملك عبدالعزيز ، وقد دعاه
بلقبه قبل توحيد المملكة باسم (المملكة العربية السعودية) :
يا صاحب (التاجين) حسبك سؤددا أن يصطفيك ليغرب نصحها
فساه (صاحب التاجين) : تاج نجد وتاج الحجاز .
ونداؤه للملك عبد العزيز كان « مقدمة » و « سلما » لهدف كبير إذ يقول على أثره
مباشرة :

حَقَّقْ - فديتك (وحدة عربية) يجني فوائد عهدها ظمأها
ولا يكتفي شاعر الملك أو حسانه بتحقيق جلالته للوحدّة العربية حُلم العرب جميعاً
بل يرجوه أن تتصل مساعيه في سبيل تطور حياتها وانمائها علمياً حتى يكمل شعبه
بالحضارة والتقدم المنشود ..

وصل المساعي في سبيل حياتها حتى تكمل بالحضارة ساحها
وأول وحدة عربية حققها زعيم عربي في العصر الحديث - كما أشرنا إليه سابقاً - لقد
تحققت على يد عبد العزيز ، فقد وحد الحجاز ونجداً وعسيراً وغيرهن وصبهن جميعاً صباً
محكماً مثالياً منظماً ، في بوتقة (المملكة العربية السعودية) الموحدة فأصبح الجميع بنعمة الله
إخواناً متحابين ، تظللهم راية التوحيد ، ويستقبلهم حسن المصير وجمال المستقبل ، وقد
حقق خليفته جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز الحلم الكبير ، للعالم العربي
والإسلامي ، بمبدأ التضامن الإسلامي الذي بذل جهوده الجبارة حتى تحقق أيضاً تحقيقاً
عملياً مكبراً في مؤتمر « لاهور » الإسلامي الذي حصل فيه لأول مرة في التاريخ إجماع من

الدول الإسلامية الكثيرة التي حضرته والوفاد ممثلوها من مشارق الأرض ومغاربها إذ وافقت على قراراته العظيمة الشأن ، بالنسبة لحاضر العالم الإسلامي والعربي ومستقبلها إن شاء الله .

هذا ولا يزال في جعبة الشاعر مطالب أخرى وهو يدرك أنها مدونة في برنامج الملك عبد العزيز - فهو يخاطبه بما هو قارئ في نفسه ، وماليء أبعاد فكره ، وساعٍ إلى تحقيقه بكل قوة .. يقول له :

وَسِدِّ الْمَعَاهِدَ وَالْمَصَانِعَ وَالصُّوَى وَأَزْحُ بِهَا مَا طَالَ مِنْهُ رِزَاحُهَا^(١)

والصُّوَى لُغَةً : العلاماتُ تنصب على الطرق لتعرف فيسار فيها على هدى . ويقصد بإشادة الصوى هنا ، اصلاح الطرق وتعييدها ، لتسهل المواصلات ، فيتصل بعض أبناء البلاد ببعض ويتبادلوا المنافع والمصالح ، والآراء ، ويتعارفوا فيتآلفوا ، كما حدث فعلاً .

ويضيف الشاعر إلى « قائمة » مطالبه الإصلاحية من مليكه المسجلة تلك المطالب في قماطر برامجه فيقول :

وَإِعِذْ لِأَكْنافِ الْجَزِيرَةِ عِزَّهَا أَيَّامَ تَجْرِي بِالسَّعُودِ سِنَاخُهَا
وَأَنْهَضْ بِهَا نَحْوَ التَّقَدُّمِ وَالْعِلْمِ حَتَّى يَبْتِمُنَّكَ بِمُجْتَلَى مِصْبَاحِهَا

« رَأْيِيته »

وهناك « رائية » للشاعر قالها بمناسبة قضاء الملك عبد العزيز على ثورة ابن رفاة بشمال المملكة التي قام بها مدفوعاً بعوامل شتى . وقد سار الشاعر في هذه الرائية على منهاجه المتمثل في العناية بالمطلع ومواءمته للموضوع كما عني بتسجيل مراحل الثورة

١ - وردت هذه الشطرة في جريدة أم القري هكذا : « أزح عما طال منه رزاحها » (العدد الصادر في ٩ ذي القعدة - ١٣٤٥ هـ - ١ مايو ١٩٢٧ م ، وقد ظهر لي أن في هذا غلطاً صححه ما دوتته بأعلى هذا الهامش .

وتحديد مواقع معركتها . يقول في مطلع القصيدة :

« حَقُّ » يُشَادُّ ، وباطلُ ينهار ظفر « التَّقاة » ومُرَقَّ الفجار

إنه هنا يدق على الوتر الحساس : الحق يشاد ويعلو ، والباطل ينهار ، وقد كان علو الحق وانهار الباطل سيفاً ذا حدين : فالتقاة انتصروا ، والفجار مرقوا وخابوا .

إن هنا براعة استهلال واضحة تكمن فيها ثروة بلاغة واضحة .. ويبدو لي من دراستي لشعر الغزالي انه كان موقفاً في تجنب مزالِق الانحراف ، بمداخلة عن الخط القويم المسائر لموضوع القصيدة وذوق المدوح بالقصيدة فيبدو بذلك كعالم نفس خبير قد سبر أغوار خوالج ممدوحه بلماحيته وإدراكه فلا يغلو ولا يباليغ ، لأن ممدوحه لا يريد غلوا ولا يوجب مبالغات شعرية في مدحه ، كما هو شأن الملك عبدالعزيز ، ولا تصدر عنه عبارات مستهجنة أو غير ملائمة للموقف أو لذوق المدوح .. وقد وقع في هذه « الهوة » وهو لا يدري شعراء فحول مشهود لهم بالقدرة الشعرية والأدبية ولكن أفكارهم قد زلت بهم في الخطوة الأولى زلة كبيرة ما كان يغتفرها لهم من ألقوا أمامه قصائدهم القوية ، وبخاصة إذا كان « مطلع القصيدة » في مناسبة تهنئة أو عُمرانٍ ، أو تعبير ، فافتتحها الشاعر بيت يدل على خراب أو نقص أو زوال نعمة أو ما أشبه ، فان ذلك يثير عليه حفيظة المدوح إذ يتشائم من قوله فينقلب الحال إلى ضده : من تقدير إلى تكدير ، ومن غبطة إلى حزن ، ومن سرور إلى تنغص وكره أليم .. وشاعرنا الغزالي كان - والحق يقال - بمنأى عن هذه النكسة الشعرية في مديحياته ، بل انه يعرف دائماً كيف يفتتح قصائده ، على حسب مقتضى الحال ، وبما يلائم نفسية المدوح ويرتاح إليه ، وينشرح به صدره .

ويقول :

وَأُنْدَكُ صرَحَ البَغِي من آسَاسِهِ وارتاع من وقع الصوارم (شار)

و « شار » هو الجبل الذي دارت في سفوحه رحى المعركة التي انتهت ثورة ابن رفاة .

ثم يقدم لنا أبياتاً تصف نواحي عظمة ابن سعود فيقول :

« عبدالعزيز » وطئت هامات العلا وبك استطالت يعرب و « نزار »

درجت « سنون » بالثبات نعدّها لم يعل فيها للبلاد منار

كانت من « التاريخ » موئل رهبة ضاقت بها الأنجاد والأغوار

حتى استقَدتْ زمامها ، فَجَعَلَتْها
فأصاب « حد الله » كل أخى هوى
أرضاً تقديس بالتقي وتزار
حقت عليه شقوة وخسار
وَمَضَيْتَ من شرق الجزيرة هازنا
بالأقوياء ولم يهلكَ خمار
فاذا « الشمال » مع الجنوب « وغربها »
دعم لعرشك والحدود بحار^(١)

١ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى العدد ذي الرقم ٣٩٩ الصادر في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ هـ - ٥
أغسطس ١٩٣٢ م .

أحمد فتحي

أحمد فتحي أحد شعراء مصر المرموقين ، أقام بين ظهر انينا مدة ، شادياً بالأدب عامة في مجالس الأدب ، وبالشعر خاصة في مجالات الشعر ، وفي شعره طلاوة وإنسجام ، وانفتاح على معطيات العصر في الشعر .. وله ديوان شعر باسم : « قال الشاعر » وأصدرت عنه دار الهلال كتاب « أحمد فتحي : حياته وشعره » لصالح جودت^(١) .

« ميميته »

قرأتُ فيما أقرأ ، قصيدته الميمية التي مدح بها الملك عبدالعزيز فاذا بها من عيون الشعر الحديث ، وقد قالها بمناسبة الذكرى الذهبية الخمسينية لحكم جلالته .. يقول في مطلعها :

بَسَمَتْ لِمَشْرِقِ عَيْدِكَ الْآيَامُ وَصَقَا الزَّمَانُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ^(٢)

وبعد هذا المطلع الجميل الباسم يقول عن الذكرى الخالدة :

عِيدُ كَمَا اتَّلَقَ الرَّبِيعُ عَلَى رُبِي نَشَرَتْ عَبِيرَ وَرُودِهَا الْأَنْسَامِ
لَبَسَتْ بِهِ الدُّنْيَا قَشِيْبَ ثِيَابِهَا وَتَسَوَّارَتْ الْبِأَسَاءَ وَالْآلَامِ
وربما ذكر هذان البيتان قارئهما بقول أبي تمام :

يَا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظْرِيكَمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصُورِ
تَرِيَا نَهَاراً مَشْمَساً قَدْ زَانَهُ زَهْرُ الرَّبِيبِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مَقْمَرِ
دُنْيَا مَعَاشٍ لِلرُّورَى حَتَّى إِذَا جَاءَ الرَّبِيعَ فَاتَمَّا هِيَ مَنْظَرِ

١ - مجلة الأديب اللبنانية العدد الصادر في فبراير ١٩٧٤ م

٢ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ذي الرقم ١٣٢٧ الصادر في ٢٥ ذي القعدة ١٣٦٩ هـ .

ويتغلغل الشاعر في المجتمعات السعودية المغمورة بالبهجة والحبور إذ ذاك في جولة

شعرية مائعة فيقول :

في كل دار مهرجان ساهر لك فيه عين الحب ليس تنام
وبكل قلب فرحة غنني بها في جانب البيت العتيق حمام
وبعد انتهاء هذه الجولة القصيرة ذات الأثر العميق يلتفت إلى صاحب الذكرى فيقول

له :

أكرم بعهدك في الزمان ملاءة كالحلم زجاء مُنيّ وسلام
هي^(١) من شباب الدهر أنضرت نبتة فيه وأينع مايري ويسام
خمسون أقبل بالمآثر والندى عام ، وولي في المحامد عام
عبرت كومض البرق اللماح في ليل تداول جانيبه ظلام

وربما يُذكرُ القارئ البيت الأخير بقول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
والشاعر في البيت الأخير السابق ذكره يصف لنا أعوام الذكرى الخمسين بأنها مرت
سراعا كومض البرق اللماح ، وذلك لأن أوقات السرور مهما تطلّ فإنها تعبر سريعة
متلاحقة بخلاف أيام الشجون والحزن والأسى فإنها بطيئة السير مهما يكن سيرها
خاطفاً ..

وإذا رسم لنا الشاعر صورة رؤاه في قوله :

خمسون أقبل بالمآثر والندى عام ، وولي بالمحامد عام

فذلك واقع الأمر المشاهد لمن قرب ولمن بعد :

ويعود إلى مخاطبة صاحب الذكرى الذهبية فيقول له :

زعموك بالسيف ابتليت مكانة بين النجوم الزهر ليس ترام
هَبِكَ اتخذتَ من « المهند » صاحباً يدم العدو ، بصفحيه غرام
هل كان يكفيك الزمان وصرفه لو فاتك التوفيق والإلهام ؟
وحقيقة رائعة ما قاله الشاعر أحمد فتحي هنا ، فالسيف وحده لا يبني المجيد ، اللهم

١ - ضمير (هي) يعود للذكرى المجيدة ، موضوع القصيدة .

إلا إذا كان وراءه عقل راجح وعبقريّة ملهمة نيرة ، وإلا فكثير من الأبطال المغاوير القروم جندلثهم سيوفهم بأخرة أمرهم ، نتيجة تجردهم من عوامل العقل الراجح والفكر المدبر ، والعبقريّة الملهمة التي تفتح المغاليق قبل أن تفتحها صوارم السيوف ..

ثم يدخل في « التفصيل » بعد « الإجمال » فيقول :

لا والذي بيديك طهر كتابه تصحو على ترتيله وتنام
ما شاد مجدك غير فكر دونه تتضاءل الأفكار والأفهام
صنعت به يملك كل عجيبة طال السؤال بها والاستفهام
فعدت لك الدنيا فليل : مليكها وَعَنَوْتُ لِلأخرى فليل : إمام

وما أبدع البيت الأخير ! وما أرفع مكانته في دنيا الشعر :

فعدت لك الدنيا فليل : مليكها وَعَنَوْتُ لِلأخرى فليل : إمام

ان الملك عبدالعزيز جمع بين الحسينيين .. عبقرته الفكرية أعملت سيفه البتار فصنعت يمينه به كل أمر عجيب ، إذ خضعت له الدنيا بالسيف الصارم المحمول باليد ذات البطولة الحارقة المحمولة بدورها بالعقل العبقرى الملهم . وفي هذا الموقف أطلق عليه بحق ، لقب ملك الدنيا ، ولكنه وقد خضع لله في تقواه لقب بهذا النظر أيضاً إمام المسلمين ..

ويضي في تحليل عبقرية الملك عبدالعزيز على ضوء التجربة والمشاهدة المكررة

فيقول :

بالحق عاجلت النفوس وإن يكن فيها من الظلم الكمين سقام
ورددت للدين الحنيف جلاله من بعد ما عبثت به الأوهام
وجمعت أشتات القلوب على الهدى فتجمعت من حولك الأعلام
وأقمته عرشاً ، يزاحم ركنه ركب الغمام إذا استقل غمام
وصحوت للدنيا بمقلة راصدٍ حُطُّوا نياماً ، والعالمون نيام
فوقيت شعبك كل خطب فاجع شرب الشعوب براحتيه وهاموا
وظللت في أمن أظلك فيؤه إن قيل : حرب ، قلت أنت : سلام

وتظامنت مهج العباد وحوها تترى خطوب ماترد جسام
يتساقط الأبطال في حلباتها ويجندل الأنصار والأخصام
سبحان الله .. هذا فيض هامٍ من سحر الشعر .. كل بيت من الآيات المتقدمة يقوم
مقام قصيدة .. كل معني من المعاني السالف ذكرها موسوعة تضم حقائق خالدة . وحقاً
ان قائل هذه القصيدة هو مِدْرَه^(١) في عالم الشعر ، حصيف في الفكر ، قوي في العارضة ،
وصاف ، غواص على الدرر ، يستخرج من أعماق بحر الواقع اعلاها مكانة ، واغلاها
ثمناً ، وأجلاها توهجاً ولعناً واشعاعاً . ويختتم أحمد فتحي رحمه الله (عصاه) بقوله :

مولاي لا برحت رحابك (دائرة) يغري بها الإقدام والأحجام
يروى نذاك ، فتستفز له المنى وبذكر بأسك يغرق المقدام
ويحار في أوصافك القلم الذي من دونه تتقاعس الأقلام
ماذا أحاول فيك من قول وما تجدى لديك لغي وثم كلام
ياضارب الأمثال في الأفعال لا لغو يساق له ولا آثام
حسبي الدعاء أصوغه لك خالصا ومن الدعاء هدى أو استلهام
عش للمآثر والمفاخر والأعلام واسلم ، يعز بعزك الإسلام

هذا وقد عَنَّتْ لي هنا ملاحظة سانحة وأنا أتابع دراسة قصيدة الشاعر هذه .. فقد كرر
لفظة (الندى) في معرض مديحه للملك عبد العزيز في ذكري جلوسه الذهبية .. ويلوح
لي أن الشاعر قصد هذا التكرار ، بالذات ، استجابة لعقله الباطن ، وتصويراً لما تعكسه
نفسيته على شاعريته حيال التعرض لغيث الملك الهطل ، وعرضاً لشريط طالما عرضه
أسلافه من الشعراء الذين أدركتهم حرفة الأدب كما يقال ، ولا غرو فالملك عبد العزيز كما
يصف الشاعر (ديمة سحاء)^(٢) بالجود والمكارم ، تسقي روادها وتروي الأرض الظامئة
من قريب ومن بعيد على السواء .

(١) في المراجع اللغوية أن معاني « مدره » بفتح فسكون ففتح - زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى
رأيه .

(٢) في مصادر اللغة - مادة سح - من معاني « سحاء » دائمة الصب والهطل بالعطاء .

أحمد قنديل

شاعر من أبرز شعرائنا المعاصرين ، إن قال شعراً جاداً ، أجاد ، وإن قال شعراً فكاهياً ، أجاد ، وإن قال شعراً عامياً ، أجاد . وقد أمتاز بقول الشعر الفكاهي العامي المعروف في الحجاز واليمن باسم الشعر « الحميني » فقد بلغ فيه الذروة أو كاد وقد أخرج فيه ديواناً مستقلاً ذا أجزاء خفّافٍ لطّافٍ ، سباه (المركز) والمركز لفظة عامية تعني مكان اجتماع الحارين حيث يتبادلون الأحاديث والقصص والأخبار والفكاهات بطريقتهم العامية الخاصة ، وبمحاوراتهم البلدية وأساليبهم المتعارفة بينهم ..

صيغة الحميني ؟ ما معناها ؟ وما أصلها ؟

صيغة الحميني ، من الصيغ المألوفة غير المعروفة الأصل لدى الكثيرين .. وقد عُيِّتُ بتتبع المعاجم والمراجع والمصادر ، في محاولات رجوتُ أن أعثر فيها على معناها وأصلها .. مدة تزيد عن عشرة أعوام .. حتي قرأت في كتاب (مارأيت وما سمعت) لخير الدين الزركلي فصلاً - ممتعاً عقده للشعر الحميني ، وقد وصفه وذكر ألوانه وشعرائه ونماذج طيبة من شعرهم ، ثم تحدث عن كلمة (الحميني) هذه .. وكان هذا بيت القصيد بالنسبة لي .. قال : (وهم - أي البادية الذين يقولون هذا الحميني - يقسمون الشعر إلى نوعين ، الأول : الصحيح الأوزان واللغة ويسمونه (القريض) . والثاني : الشعر البدوي المختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الصحيح أو القريض كما سنرى ، ويسمونه : (الحميني) - بضم الحاء وفتح الميم - ولم أعلم اشتقاق هذه اللفظة ولا أصلها) .

وحيثما قرأت كلام الزركلي كاد يصرفني عن متابعة البحث ثم عدت وصممت على متابعة الاستقصاء فراجعت الكثير من المصادر اللغوية القديمة والحديثة .. ثم تذكرتُ - بأخوة - أن السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس شرح القاموس ، كثيراً ما يذكر ألفاظاً في استدرآكاته على صاحب القاموس ويحللها لغوياً ويشرحها .. فقلت في نفسي :

هيا بنا إلى (تاج العروس) وبدأت أقرأ ما كتبه الرجلان في مادة (حمن) حتي أكملت ما قاله القاموس عن معانيها ، فلما بلغت المستدرك عليه .. فاذا بمرتضى الزبيدي يقول : (قال : أي نصر - والحمانان صقعان يمانيان ، والحميني : ضرب من بحور الشعر المحدثه ، وهو المعروف بالموشح .. يمانية) .. وإذن فبعد لأيٍ توصلتُ إلى سر صيغة « الحميني » ، وعرفتُ أنه ضرب من بحور الشعر المحدثه « المولده » وعرفتُ أنه يعرف أيضاً بالموشح ، كما عرفتُ أنها كلمة يمانية الأصل في الاستعمال المحدث المولد ، ولعلها مشتقة من (الحمن) أحد الصقعين اليانين ، ثم صغرت .. وإذا كان الأمر كذلك فان مصدر شعر الحميني . من بلاد اليمن ، ومنها انتقل إلى الحجاز .. ونحن نتذكر أن قبيلة يمانية انتقلت بكاملها من اليمن إلى الحجاز واستقرت فيما بين الطائف - ومكة والمدينة في القرن الهجري الرابع ، وقد اشتعلت فيما بينها وبين جيرانها من بادية الحجاز كسليم وغيرهم يومئذ - حروب يشيب لها الولدان . وما خمدت نارها إلا في المدة الأخيرة .. فلعلها هي التي أتت معها بتسمية الشعر الياني الأصل باسم الحميني ، وقد انتقل من مضاربها إلى مضارب البادية الأخرى في الحجاز واستمر وجوده وأسمه حتى الآن . وربما يكون شبيها بهذا الشعر ، الشعر العامي المعروف في نجد باسم (النبطي) - بفتح النون والباء - فقد تحدث - خالد بن محمد الفرج في مقدمة تأليفه : (ديوان النبط) بالفصل الذي عقده بعنوان : أصل الشعر العامي المعروف بالنبطي في نجد ، وأصل تسميته بهذا الاسم) .. فقال - ما نصه : (واسم هذا النوع من الشعر عند أهل نجد ، يدل على أنه قد أتاهم من العراق أو مشارف الشام ، فهم يدعونه « النبطي » أو شعر النبط ، وكانوا يطلقون اسم الأنباط على فلاحي سواد العراق ، وبدو مشارف الشام ، وفلاحيه ، لأن التحريف لحق اللغة العربية هناك قبل الجزيرة ، لكونها أعجمية الأصل ، وسرعان ما اندمج الفاتحون العرب بالسكان ، فدخلت العجمة على الألسنة ، ولولا تدوين اللغة وقواعدها ، ووجود القرآن بين ظهرانيتهم لأصبحت لهجات هذه البلاد اليوم رطانة ، لا تمت إلى العربية بصلة ، إلا كما بينها وبين الحبشية مثلاً^(١))

(١) ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد « الجزء الأول » لخالد بن محمد الفرج - المقدمة ص (و) وص (ع) مطبعة الترقى بدمشق ١٣٢٦هـ - ١٩٥٢م .

هذا وتحت عنوان : « مذاهب الشعر في كلام الأعراب » عقد حسن حسني عبد الوهاب عالم تونس ومؤرخها وأديبها الكبير رحمه الله - عقد فصلاً استهله بقوله :
 (كان لزحفة بني هلال وبني سليم ورياح وزغبة على أفريقية التونسية - أواسط القرن
 الخامس للهجرة - تأثير قوي على لغة التخاطب بين السكان ، إذ تزحزحت اللهجات
 المحلية أمام هذا التيار المتغلب على كل النواحي فتقهقرت لغة البربر الزناتيين - إلى أن
 قال : « هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تسربت لهجة هؤلاء البدو إلى كلام أهل
 الحضرة - من عرب وأفارقة المقيمين في المدائن الكبرى كالقيروان وتونس و صفاقس وسوسة
 فغيرت تغييراً محسوساً ذلك الكلام الحضري الموروث من زمن الفتح عن الجاليات العربية
 الوافدة على البلاد من مدن الدولة الأموية في الشام ثم عن جنود بني العباس القادمين من
 العراق وخراسان » .

ثم تحدث عن شعر الهلاليين والسلميين فأورد بعض قصائد شعراء البادية في القرن
 الهجري السادس ومنها قصيدة لعنان بن جابر المرداسي وهي قصيدة عربية محضة قالها
 عنان بن جابر وليس بها لحن : قال في مطلعها :

خليلي عوجا بين سلع وحاجر بعوج عتاجيح نواج ضوامر
 قلاص خماص شازبات عرامس مواض نواض مرقلات عوابر
 طوال الهوادي لا يخضن تنوفة هملعة الأطراف هُدل المشافر
 وعوجا على دار لنا في جنبها أفانين هُو دائم غير دائر
 إلى أن يقول :

تحمل إلى (ترشيش)^(١) عني تحية كما سلم الأجاب عند التزاور
 (بلاد بها نيطت علي ، قئامي) وفيها نما عقلي ولبي وخاطري
 وقصيدة عنان بن جابر مبنية على قواعد علم العروض وشروط الأعراب وقال عن
 الأشعار المنسوبة إلى بني هلال وبني سليم حين تزوجهم : ان قصائدهم كانت خالية من
 الأعراب الكامل . ويقول ابن خلدون فيما نقله عنه حسن حسني عبد الوهاب أن :
 (أهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى

(١) ترشيش : اسم قديم لمدينة تونس .

« الأصمعي » ! . وأهل المشرق من العرب يسمون هذا الشعر بـ « البدوي » .
وعلق حسن حسني عبد الوهاب على قول ابن خلدون هذا بقوله : (أقول : تسمية
الأشعار الشعبية عند أعراب الحجاز ونجد (بالبدوي) كانت في أيام ابن خلدون ، يعني
في القرن الثامن للهجرة - أما الآن فان أشعارهم من هذا النوع تنعت (بالنبطي) نسبة
إلى النبط ، وهم قوم عدهم العرب عجباً استعربوا ، أو عرباً استعجموا - كما أن هذا
الضرب من الشعر يسمى في اليمن وحضرموت بالحميني ، ولا أدري وجه تسميته (١) .
وهكذا اتفق حسن حسني عبدالوهاب مع خير الدين الزركلي في النتائج .. وقد
استبان لنا إذن تسلسل تسمية هذا الشعر الملحون وأسماءه المتعددة في اليمن وحضرموت
ونجد والحجاز قديماً وحديثاً على أنه قد تغلب على هذا الشعر الآن في المملكة العربية
السعودية اسم « الشعر النبطي » بعدما كان اسمه المعروف في الحجاز على ما أدركناه هو
(الحميني) . وبدأ اسم الحميني في التواري والاختفاء .. هذا وقد أطنبنا في هذا البحث
الخاص بالشعر الملحون لأنني لم أر من فصل القول فيه من قبل ، وللمناسبة القائمة في
شعر أحمد قنديل الذي سار بهذا الشعر أشواطاً بعيدة .

« رأيته »

لأحمد قنديل قصيدة « رائية » القافية ، ووزنها من بحر الطويل ، فهي من الشعر
العمودي الأصيل ، وسنورد مقتطفات منها تدل على غضارة (٢) ما وراءها ونضارته .
وللقصيدة قصة تاريخية كبيرة وعظيمة معروفة وذلك أن مدينة جدة كانت تعاني من
الظماً طيلة الدهور الخالية حتي إذا جاء الحكم السعودي ارتوت على يد بطل الجزيرة
عبد العزيز آل سعود ، بالعين العزيزية التي أمر جلالته بجلبها من وادي فاطمة الذي يقع
على بعد ستين كيلومتراً بالشمال الشرقي من جدة ، وعند وصولها إلى جدة أقيم مهرجان
عظيم بهذا الحادث الجليل .

(١) كتاب ورفات عن الحضارة العربية بإفريقية - القسم الثالث جمع وأشرف الاستاذ محمد العروسي .
(٢) القضاة من معانيها في اللغة العربية الخصب والخير والظراوة .

كان ذلك في غرة شهر المحرم سنة ١٣٦٧ هـ . وفي ذلك المهرجان تبارى الشعراء في
القاء قصائدهم ، وكان من بينهم الشاعر أحمد قنديل صاحب القصيدة الرائية التي بدأها
بقوله مخاطباً الماء في أسلوب متمسم بالطراوة والجدة والتجديد :

تَهَادَ على اسم الله ياماءنا غمرا وَسَبَّحَ بحمد الله ياماءنا شكرا
لقد جرد من « الماء » الوافد بغزارة ، شخصية محبوبة ذات لطف وإيناس وخاطبها ..
وهذا الصنيع يمثل براعة استهلال حديثة لا اخال ان أحداً من شعرائنا تصدى لها من
قبل ، ويمضي الشاعر القنديل في رائيته الرائعة فيقول :

وسر بأمانينا تحفك سبَّحاً إليك خيالاً لا يكلُّ ولا يعري
أمان كأحلام الربيع تفتحت على أمل أو هي التجلد والصبرا
أمان عذاب طائرات كأنها حمائم تهديك السبيل لنا يسرا
وظف بحمى الوادي السعيد مودعا مغانيك اللائي قضيت بها العمرا

وهكذا يمضي الشاعر القنديل في تجريده من ماء العين العزيزية شخصية ذات مواهب
عالية فيتحدث إليه بأمانى أهل بلده التي كانت كأحلام الربيع ثم تحققت .

وانطلاقاً من حديثه هذا إلى شخص « ماء العين » يطلب إليه أن يطوف بحمى
الوادي السعيد - وادي فاطمة - مودعاً مغانيه التي قضى بها جل عمره المديد ، إلى أن
هاجرت وفوده صوب مدينة جدة فأصبح بها قراره . وهذه المغاني في الوادي الجميل الذي
أنس طيلة الدهور بماء الحياة العذب الجاري على سطحه أو الكامن في طبقاته قد استهوت
الشاعر فقال عنها :

مغان بها الاصباح يشرق صاحياً وتغفو بها الآمال تستلهم الشعرا

ومغاني وادي فاطمة من حقها أن تكون حلوة وجذابة لأنها مشرقة في الاصباح
والامساء ولذلك تجد القلوب المتعطشة للجمال معلقة بجهاها وهي تلهم الشعراء الشعر العالي
المبدع . ويستمر الشاعر في تصوير مزايا الوادي ومائه النмир إلى حد التغزل به ، فيقول :

أفاض عليها في (الجموم) حباءه من المزن دفاق السجية قد أمرى
يفجر ما بين العيون مساربا تميل بنا سرا وترفدنا جهرا
فكان كأنفاس الحبيب هفا التوي بها فأشاحت توجز العذل والهجرا

وهو هنا يصف لنا فيضان الغمام المغدودق على أرجاء الوادي الجميل المزدهي بعيونه
الغزيرة المكونة من « حباء » المزن الدفاق الذي يفجر ما بين العيون من أتربة وصخور بقوة
تدفقه ، فيجعل لنفسه مسارب يجري خلالها ، فيشبهه في صنيعه هذا ، أنفاس حبيب هفا بها
النوى فصد عن المحب .. ان تفجير ماء المزن لما بين مجاري العيون ، هو عمل يشبه صنيع
المحب الذي أزعجه تأني حبيبه فأشاح عنه بعض الوقت .

واستمرار الشاعر في الحوار من جانب واحد مع ماء العين الغزيرة يكشف لنا عن بالغ
أعجابه به وبالغ تقديره له .. يقول في هذا المعنى :

وكنت على شوق إليك وحرقة حبيباً دعاه العذر فاقطع العذرا
ورق إلى الشاكي نواه فأهطعت إليك رقاب تتلع النحر والصدرا
فعد عن المنأى وجز بأخي الهوى مفاوز تستدني المفاوز والفقرا
وصل في الهوى ما بين واديك حانيا عليك ، وبين الثغر مدد . لك الثغرا

وهذه معان لطيفة ربما صح أن يقال عنها أنها مبتكرة .. وقد تضمنت تصويراً في
منتهى الحسن للمنافع الجمّة الضخمة التي حققها سريان هذه العين إلى مدينة جدة ، وقد
عبر عنها الشاعر تعبيراً شعرياً أخاذاً فهو يقول للماء الوافد إلى جدة من الوادي :

تجاوز أيها المسافر المحبوب ، المفاوز والفقار ، وصل في حُبِّك غير العذري ما بين واديك
الذي قدمت إلينا منه - لأنه هو الحاني عليك والصديق الرفيق بك من قبل وبين ثغر جدة
الذي يقدم لك ثغره تقديراً لك وغراماً بك . وهنا يجد الشاعر « مدخله » إلى الاحتفاء بهذه
المأثرة الخالدة من مآثر الملك عبد العزيز حيث أنه أصدر أمره الموفق بجلب هذه العين إلى
مدينة جدة ، ويعود لمخاطبة ماء العين فيقول له :

وقف لجلال الملك في الدهر ساعة هي الدهر لم يبخل عليك بها ذكرى
أضياء بها «عبدالعزيز» وحسبه مسمى تضييء المكرمات به قدرا
رعاك طلابا واجتباك حقيقة وأجراك فيضا من مفاخره تترى
فكان وكنت اليوم عرشا وظلة تعالي على الأزمان ذكرهما ذكرا

ان الشاعر هنا يأمر الماء الجاري أن يقف اجلالاً لصاحب هذه المكرمة العظيمة
الخالدة التي أنقذت الناس من ظمأ شامل طالما هدد حيواتهم منذ الأجيال السحيقة .

ان العين العزيزية الوافدة مياها إلى مدينة جدة قد أضاءت بنورها الفياض البلاد
بعد أن كانت تعيش في ظلام دامس من الظمأ الكارب المستديم . وعبدالعزيز مجري هذه
العين هو زعيم عربي مسلم فذ ، ذو خيرات جسام . ومكرماته ومبراته تضيء كل مكان .
وان له لفضلاً رائداً ومثوبة خالدة حيال عنايته البرة الرحيمة ، لورودك أيها الماء النمير إلى
جدة .. لقد رعاك في بحته عنك في واديك الجميل ، وأختارك من بين المياه المهمة لسقيا ثغر
من أهم ثغور بلاده العزيزة ، ومازال يسعى وراء وصولك إلى هذا الثغر حتى اذن الله بأن
تندفق في شوارعه ومنازله ، اليوم زلالا ، فكان ذلك إحدى مفاخره الكبرى ، وكنت أيها
الماء ظلأ لعرشه فأحرزت بهذا العمل ، فخراً وذكرأ سيارأ .

حسين عرب

شاعر من شعرائنا الممتازين . له النفسُ الطويل ، والشعر المجنح الجميل ، وهو متفتح القريحة ، سهل عليه قرض الشعر الرفيع الشأن ، متتبع للتطورات الشعرية ، وإذا قال الشعر في أي موضوع أوفاه حقه حتى ليقول القارىء : ليس على هذا من مزيد .. له مطولات روائع .. وله قصيدة في (التلبية) ضاهى بها الشاعر العباسي الحسن بن هانئ .. إن لم يتفوق عليه ، وكم ترك الأول للآخر ، ونثره قوي وجميل كشعره . وقد نشرت له صحفنا المحلية الكثير من شعره ونثره ، وكانت مجلة المنهل من أوائل المجلات التي نشرت له مقالاته المتسلسلة في الأدب والحياة بعنوان « مطالعات في الأدب والحياة » .

« ميميته »

نظم هذه الميمية ، تهنئة للملك عبد العزيز بمناسبة مرور خمسين عاما على دخوله مدينة الرياض وقد استهلها بقوله :

خفقت فوق عرشك الأعلام وتغنيت بمجدك الأيام
وترامت بك البشائر في الشرق وفاضت برجعها الأنعام
أشرقتم شمسها بعهدك حتى صافحتها (السهول والآكام)
وتبارت جموعها لك بالود ، سداه الاخلاص والاعظام
فاذا الليل نشوة وضياء واذا الصبح غنوة وابتسام
وإذا الرّوضُ فرحة ونشيد والصحاري ، مرابع وغمام

إن الشاعر أقام الأبيات الستة في مقام (المقدمة) الشعرية التقليدية في الشعر العربي القديم . وقد راعى بذلك مقتضيات العصر الحاضر ، وواءم بين فكره وشعره ، وبين شعره وعصره ، فقد وليّ عصر الابل ، وجاء عصر جديد استعملت فيه ركائب من جماد متحرك كالحيوان وأسرع وأجمع ، وقد رأينا فحول شعراء العرب المعاصرين حتى الذين وردت

بعض اشعارهم في هذا البحث ممن لهم قدم عالية في الشعر الحديث ، حتي هؤلاء سلكوا هذا المنهج في فواتح قصائدهم .. صَنَعَ ذلك خيرُ الدين الزركلي ، وفؤاد الخطيب ، وعبد المحسن الكاظمي ، واحمد بن ابراهيم الغزاوي ، وعبيد مدني ، واحمد فتحي وغيرهم .

ثم يقول الشاعر حسين عرب معددا جلائل الأعمال التي نهض بها الملك عبد العزيز :
ايه عبد العزيز يومك يوم الضاد مجدا وانك المقدم
شدتها دولة بعزمك تختال ، فداها الأرواح والأجسام
عززتها السيوف شرقا وغربا وأشادت بذكرها الأقلام
وتبوّأت بين قومك عرشا شاده العزم والندى والحسام
قد أحاطت به القلوب وراحت تتباهي بوده الأقسام
فتقدم بأمة الضاد وانهض بالأمانى فالتواني حرام
هذا وقد شارك ايضا نفر من شعراء الملك عبد العزيز الذين ورد بعض انتاجهم

الشعري في هذا البحث شاركوا حسين عرب في طلبه من الملك عبد العزيز ان ينهض بالجزيرة ، وهو من باب « توارد الخواطر » أيضا ، فهذا احمد بن ابراهيم الغزاوي يقول :
وأعد لأكناف الجزيرة عزها أيام تجري بالسعود سناحها
وهذا علي أحمد باكثير يقول :

أمير الوري انهض بالجزيرة نهضة بسبق شعوب الأرض للعرب تكفل
ويمضي حسين عرب في وصفه الماتع ، لجهود الملك عبد العزيز المثمرة ، معززا بتقدير الشعب وتبجيله وشكره على ما أسدى له من أياد جسام :

إن شعبا أنت الزعيم عليه هو بين الشعوب ليس يضام
وبلاداً أنت المملكُ فيها حظُّها من صفاتك الاقدام
أشرق السعد في رُبَاهَا وغنت بعلاها الدهور والأعوام
ويلتفت إلى ما سبق أن قابله الملك عبد العزيز من أحداث مهولة ، فاجتازها بإيمانه بالله ثم بسيفه البتار وبعقله الجبار .. فيقول له :

يا أبا العرب كيف مرت بك الاحداث تتسرى وكلها آلام
فتحملتها بهمة قمر أين من مثل بأسه الضرغام ؟

ويعود إلى الذكرى الذهبية فيجلبها إذ يقول :

قُمْتَ بالأمر منذ خمسين عاما فاذا الأمر حكمة وانتظام
واستقامت بك الشؤون صلاحا ينشر الدين للدين استقاموا
وأقمتَ البناء طودا منيعا شامخا ليس مثله الاهرام
هو للدين معقل ورجاء وهو للبغي مصرع وانتقام
عجزت أن تنال منه الدعا يات منالا وخابت الاوهام
انما يدرأ الأباطيل شعب عبقرى شعاره الضمصام

وتبرز شاعرية الشاعر في البيت الأخير .. إذ استطاع ان يصوغ حكمة عميقة
عالية .. قدمها هدية للشعب السعودي ، ليعرف كيف يدرأ الأباطيل والزيف عن حمى
بلاد

فاذا انتهى الشاعر من عرض احداث الذكرى الذهبية الممتلئة في الاصلاحات الجمّة
والنهضة الكبرى التي قادها عبد العزيز فان الشاعر لم يبق له اذن الا امران أولهما :
تحية الملك الوهاب المهيب تحية ملؤها الاخلاص والمقة والتبجيل .
لك .. يا أيها المفدى تحيات من الشعب ملؤهن غرام
وثاني الأمرين هو : الدعاء للمليك الموفق بطول العمر ودوام العز . وبهذا يحتتم
الشاعر رائعه فيقول :

ولتدم وليدم لك العلمُ الخفاق تزهو في ظله الاحلام^(١)

١ - نشرت هذه القصيدة في العدد الممتاز من جريدة البلاد السعودية الصادر في ٢٢ رمضان ١٣٦٩ هـ .

خير الدين الزركلي

خير الدين الزركليّ ، جدير بأن يلقب ايضاً بشاعر العرب .. فان شعره لا يقل عن مرتبة زملائه ، فؤاد الخطيب ، والرصافي ، وحافظ ، والكاظمي .. وفي شعره نكهة عبقة تجعل له جاذبية خاصة لدى قارئيه .. وهو قويّ الديباجة ، مُرَكِّزُ الفكرة ، صاحب مدرسة في الشعر ، وصاحب مدرسة في النثر ايضاً .

لخير الدين ديوان طبع قديماً .. وأخبرني وأنا في بيروت بالعام الاسبق بأنه يزمع إعادة طبعه ، وإضافة ما استجد من شعره إلى ديوانه القديم . ليجمع الديوان الجديد بين قديم شعره وحديثه .

« فائيته »

هناك قصيدة (فائية) القافية من بحر الطويل نظم قلاذتها خير الدين بمناسبة ذكرى جلوس الملك عبد العزيز . وأول هذه القصيدة قوله :

جري اليمُّ هداراً بمضطرب طاف تميل به الأنواء ميله أعطاف
سواء وماء . ليس بينها سوى بناء على الأمواج قد شيد رجاف
يطل عليه باسم النجم خلصة ويرتد عنه طرفه غير مشتاف

وبعد أن يعبر بسفينة شاعريته هذه الأمواج الهادرة العاتية التي تمطرها ديمٌ سحاحة ، بحيث لا يرى الرائي غير السماء والماء ، وليس بينها سوى إحدى المنشآت الجوارية ، شاقة بحيزومها الحديدي الجبار ، عباب البحر المضطرب بالأمواج الكبار ، فهي - أي السفينة - رجافة بسبب اضطراب البحر من تحتها ، ولشدة تلاحم السحاب من فوقها وليس يري النجم اللهم الا خلصة ، ويرتد عنه طرف ذلك السّفين - بفتح السين وكسر الفاء - غير مشتاف .. ان الزركلي بعد اجتيازه لهذه الأحوال .. ليحمد الله على السلامة

منها ، وساعتئذ يذهب خياله الى احلام الماضي الذهبية التي كانت تتراقص أمامه في يوم
دجن معجب ، يحجب غمامه وجه الشمس بنقاب شفيف .. في ملابسات هذا الحلم الممتع
اللذيذ ..

ترأت- به في صفحة اليَمّ زاخرا هائم بيض بين دُرّ وأصداف
فناجيت نفسي والخيال يطيف بي ترى أغدا في كعبة البيت تطوافي ؟
أشهد هاتيك الوجوه وقد بدا عليها سنا أخلاف بمجد وأسلاف

يبدو لي أن الشاعر في مقدمة قصيدته التي وصف بها البحر المائج ، والموج الهائج ،
والسحاب المتراكم ، انما يصف شعوره في رحلة بحرية قام بها إلى هذه البلاد أيام كان
السفر يتم في الغالب على متون البواخر المواخر، في اليَمّ ، ويبدو انه اثناء رحلته التي
حفت بتلك المكاره والمزعجات صفا له الجو في أحد أيامها ، فكانت السفينة البخارية التي
يمتطيها صوب ساحل الحجاز تسير على سطح هاديء خفت فيه حدة الأمواج الثائرة وكفّت
السماء عن الهملان ، وان كان السحاب مازال يجلل بعض الآفاق بستارته الدكناء في ذلك
الجو الفضي الناصع ، الساحر النسبات .. فالشاعر- والحالة ما وصف - لعله وصف
الطبيعة في نفسه ، ونفسه في الطبيعة وذلك ، بدلا من وصفه في مطالع القصيدا قامة
هيفاء ، أو ذميل ناقة ذلول ، ومن ثم ينتقل إلى وصف شعب هذه البلاد الذي ارتحل اليه
وبلغ مناه في الوصول اليه .. ويتخذ من ذلك سلماً للاشادة بحدب الملك عبد العزيز على
هذا الشعب الذي طوره وحوله من حال إلى أحسن منها بتوفيق الله ومعونته وتسديده ..
يقول :

هنالك من أبناء يعرب أمة كملت مع الحُدَيْنِ زينَ يارهاف
حجازية نجدية مُضْرِيَّة من الدين والدنيا لها البُرْدُ الضافي
تقدمها (عبد العزيز) فصانها من الحَلَكِ المُرِّيِّ والشَّرِكِ الخافي

جميل جدا هذا التعبير الشعري الأخاذ : (فصانها .. من الحلك المرئي والشرك
الخافي) . ويلوح لي ان الشاعر توصل الى هذا المعنى من طول ممارسته للسياسة فاستطاع
ان يدرك دسائسها الخفية و (مقالها) الجليلة . فصاغ في شعره هذه الجملة النضرة

الناصرة الجامعة ويستمر في اشادته بزعامة عبد العزيز فيقول :

دعا فأجابته الجموع فقادها فوجد أشتاتا وقام بأحلاف
إذا الملك لم يجمع شتاتا ولم ينر سبيلا ، تداعي أو سفا ركنه سافي
ويذكرني قوله :

إذا الملك يجمع شتاتا ولم ينر سبيلا تداعي أو سفا ركنه سافي
بيت قريب من المعني والمغزي بطريق غير مباشر فقد جاء في (دالية عبيد مدني)
قوله :

والعرش ما ترسو قواعده على أسس الجوانح لا على الأعواد
ويتحقق الحلم البعيد فاذا بخير الدين يحل بأم القرى بعد رحلة بحرية مضية :

أجل هذه أم القرى وشعابها وهذا (حمام البيت) يزهي بارفاف
وها هي (اجياد) تطل على (الصفا) و (زمزم) منها يستقي كل رشاف

وهكذا أصبح الحلم المستحيل حقيقة ملموسة .. فبأم القرى ألقى الشاعر عصا
التسيار .. وها هو ذا بين يدي الملك عبد العزيز في مكة المشرفة يلقي أمامه شعره ويشيد
فيه بمزاياه العُزّ، وينشر في شعره أريج مكارمه ومفاخره الجلّيّ ، ينشرها وينشرها على العالم
العربي والاسلامي لعله يقتبس من مواهب عبد العزيز ومن مآثره ، ومن زعامته الراشدة ،
البانية .. ومن حكمته الهادية ، وعبقريته السامية ، ومن بطولته الخارقة ما يرفع مستواه .

بني الملة الغراء والوطن الذي وقاه من الأرزاء مصقولُ أسياف
بني لكم (عبد العزيز) و (آله) بناء المعالي فاتقوا كل رجاف
الا ان في (شبه الجزيرة) قوة عزيز علينا أن تُرَامَ باضعاف
هي (المعقل) المأمون للعرب كلهم هي (الموثل) المحميُّ من كل حياف

وأخيرا يعطف الشاعر على الذكرى الذهبية فيقول :

هنيئًا لأهل العيد (عيد مملك) شفي المجد من سقم عراه وأدناف
ولا زال عرش الملك مرتفع الذري بـ (آل سعود) من اصول واخلاف

« دالية الرثاء »

عندما وُوريَ الترابَ صقرُ الجزيرةِ وباعثَ مجدها ومؤسسَ وحدتها ، فاضت شاعرية
الزركلي بدموع الرثاء الحارة المنابع الطافحة من قلب مكلم بغياب هذا اللبث المصور
الذي ملأ القلوب والأسباع والأبصار فنظم (داليته) المجللة بالحزن والاسي العميق على
الفقيد العظيم ، وقد عدد فيها مآثر جلالته فقال فيما قال :

رد الجزيرة وهي نسي بلقع حوضا عليه للورود وفود
التبرسأل بها عيوننا ، والحصى درر ، ولألاء النجوم عقود
رفلت بأبراد الحضارة أربع كانت عليها للعفاء برود
أمن المخاوف غاديا أو راتحا جواب مقفرة رعاها السيد
هذه المزايا الكبيرة التي ما كان يحلم بحصولها حالم في شبه الجزيرة او غيرها قد
حققها عبد العزيز تحقيقاً واقعياً ملموساً ومشهوداً .

ويضيف إلى تلك المزايا الاجتماعية الكبيرة مزايا شخصيته الضخمة وهي مزايا قلما
تجتمع في شخص من بني الدنيا :

الناس بين يدي حكيم يُنهم بلوائه ، ويؤمئ به معقود
يقظ كأن لقلبه ولعينه رصدين لا يعيبهما مرصود

ويذكرني البيت الأخير بيت قديم :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاضلام
ويمضي خير الدين في وصف المزايا الشخصية التي يتحلى بها الملك عبد العزيز

فيقول :

تتطاحن الفرسان وهو كأنه ما بينها علم يموج ، وحيد
لا تبلغ الأسياف من جثمانه الا كما خدش الحديد حديد
عقل كأن الغيب منبسط له سفرا ورأي في الصعاب سديد
تتعاقب الاحداث دهما حوله ويجيل فيها طرفه فتعيد
ويثور بركاننا اذا استغضبتة للحق ، ما للظاه فيه خمود

وتراه ييسم للخطوب كأنما
ولربما خطيء الصواب فكان في
بالعفو والعضب المهند مُتَّضِي
جود كَمُنْهَلِ السحاب ، وما الفتى
ما المال يكتزه الضنين فيغتني
عرف الحياة مناعم ومبائس
وإذا الحياة تشاكلت ألواتها
كالقول يأباه السماع مرددا
هو باجتياز شدادها موعود
تسديده خطأ الصواب يزيد
يشري النفوس ، ولا يسود حقود
بموجب لولا الندى والجود
كالمال يبذله امرؤ فيسود
وتداولته يبضها والسود
ملت وأعوز أهلها التجديد
وكل مردد مردود

وفي (فواتح) هذه القصيدة الدالية اشاد الشاعر باحياء الملك عبد العزيز للجزيرة
بعد همودها ، فسأل الذهب بها عيوننا .. ولعله يقصد بالذهب السائل ، الذهب الاسود
(أي النفط) وأصبح الحصى دُرًّا ، ولآلئ النجوم عقودا ، تنظم فيها تلك الدرر المتوهجة
من شبه الجزيرة في إطار الحكم السعودي الميمون ، واصبح جَوَابُ (بتشديد الواو) الففاز
التي يرعاها الذئب ، آمنة من مخاوف العدوان على نفسه وماله . وفي (خواتم) الدالية ،
يشيد الشاعر بروافد العرش الذي بناه عبد العزيز على قواعد النضال فيقول :

عرش بناه على النضال ، عماده ودعامه الايمان والتسديد
ما نام عنه مؤسسا ومنظما ستين حولا بيتني ويشيد
ضم القلوب موحدا أشتاتها لله ثم لشعبه التوحيد
هذا وقد نشرت هذه (الدالية) في مجلة المنهل بالعدد الصادر في جمادى الاولى سنة
١٣٧٣ هـ - يناير ١٩٥٤ م ، بعد وفاة الملك عبد العزيز بشهر واحد .

سليم أبو الإقبال اليعقوبي

لا أدري من الذي سماه « حسان فلسطين » هل هو صحافتنا السعودية التي نشر فيها الكثير من قصائده في الملك عبد العزيز ، ام كان مسمى بهذا الاسم من قبل ، والذي يبدو لي ان صحافتنا هي التي اطلقت عليه هذا اللقب ، او بعض المسؤولين او الشعراء في هذه البلاد .. وايا كان الامر فهو حسان فلسطين الفياض .. كان سليم ابو الاقبال اليعقوبي جهر الصوت في انشاده لشعره في المحافل وكان ضخما طويلا ، اسمر اللون ، أذكر أن المرحوم فؤاد شاعر نظم في مدحه قصيدة نونية القاها في حفل تكريمه سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٩ م وسماه فيها « حسان الشعر » يقول :

انما الشعر دوحه انت فيها طائر فوق غصنها الفينان
انما الشعر مقله ذات حسن أنت فيها في موضع الانسان
كنت للشعر مخلص النفس حتى جزت فيه السباق يوم الرهان
أنت « حَسَائُهُ » وكم صغت درا في المعاني كالمبدعات الحسان^(١)

« داليتة »

هذا وللشاعر سليم ابي الاقبال اليعقوبي قصيدة « دالية » سماها « معلقة فلسطين الخالدة » وكان قد رفعها الى جلالة الملك عبد العزيز في شهر رمضان سنة ١٣٤٧ هـ وبلغت ابياتها (١٠٦) بيت . وكان مطلعها قوله :

حَيَّ عَنِّي السَّعُودُ وابْنُ السَّعُودِ واتل في منبت الرياض قصيدي

١ - وحى الفؤاد لفؤاد شاعر ص ٢١٧ الطبعة الاولى

ما لثلي وما لمثل قريضي غير ملك في شعبه محمود
أأغني في غيرة وهناء في سواه من الملوك تشيدي؟
والمطلع المتقدم يفوح منه شديّ عطر من شاعرية متمكنة ذات جرس شعري رنان ..
ويمضي فيقول :

إن عبد العزيز يجتذب العرب إليه بعدله المعهود
وهذا وصف مطابق لعدل عبد العزيز الذي يجتذب مغناطيسه العرب اليه ، ولم أرفيا
أذكر من طرّق هذا الوصف من شعراء عبد العزيز الوارد انتاجهم الشعري في هذا البحث .
وكدأب كبار الشعراء نراه يدعم وصف الملك عبد العزيز بالعدل ، بحكمة تركزه وتوطد
دعائمه فيقول :

إنما العدل موئل المجد في الكون ومَرْمَى لوائه المعقود
وهذا النوع من الدعم يوحى بوسع باع الشاعر في فنه ، كما يوحى بتفتح وعيه ،
وبانطلاق فكره في شتي آفاق البيان .

وقد رأينا هذا المظهر الفني في عالم الشعر ممثلا في بعض قصائد الشعراء الذين أوردنا
بعض قصائدهم المديحية في عبد العزيز : ومن هؤلاء شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي في
(داليتة) التي سنأتي بمقتطفات منها .. اذ يقول فيها بعد استرساله في الثناء على مواهب
جلالة الملك عبد العزيز :

لا يعدم الفوز المبين من على الله اعتمد
على علاه ساهر من أمن الليل رقد
وكذلك كان الأمر في (دالية) خير الدين الزركلي السابقة مقتطفات منها حيث
يقول أثناء مديحه لعبد العزيز :

وإذا الحياة تشاكنت ألوانها ملئت وأعوز أهلها التجديد
كالقول ياباه السماع مرّداً أبداً . وكل مرّدي مرّود

أبو الاقبال يدعو قومه للانضواء تحت علم ابن سعود

ونري أبا الاقبال يقبل على قومه الفلسطينيين ناصحا وداعيا لهم إلى أن ينضوا تحت علم الملك الراشد ضمانا لمستقبلهم الذي هو في مهب رياح الاستعمار والصهيونية العالمية .. يقول في هذا المعنى :

ليت قومي وليتني من رعاياه فاني والقوم رهن القيود
وتقديمه دعوة قومه هذه بصيغة التمني هو لون من ألوان البلاغة العربية فان التمني غاية المني ومعقل الرجاء ومطمح الآمال :

والباعث له على أن يتمني أن يكون هو وقومه منضوين تحت علم ابن سعود هو أن شعبه شعب جهاد في سبيل الاسلام والتوحيد ولا يعدل عن منهج الحق ولا يرتضي الركود والجمود ، بحال من الأحوال :

شعب عبد العزيز شعب جهاد في سبيل الاسلام والتوحيد
لا يري ان يحيد عن منهج الحق ولا أن يكون شعب هجود
دلج المسلمون على الدين فما كان أمرهم في خمود
ويناسب المقام هنا أن يكر على دعاة الالحاد والشيعوية فيدعو عبد العزيز الملك المسلم إلى أن يغلظ عليهم ليقوض المبادئ المستوردة المنحرفة التي يسعون في نشر فسادها في الأرض العربية الطاهرة ، وليس لها الا عبد العزيز :

عاهل العرب أنت أنت نصير الدين فاغلظ على دعاة الجحود
ما لدين الاسلام غيرك في الأرض وهل للاسلام غير النجيد ؟
لك فيه من ذكريات صلاح الدين قسط وذكريات الرشيد
انت للعرب والعروبة ما عشت وللعهد والوفاء بالعهد
أنت سيف الاسلام والمسلمين اليوم أئى وجدت كابن الوليد^(١)

١ - نشرت جريدة ام القرى هذه القصيدة في العدد ذي الرقم ٢٢٦ الصادر في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٧ هـ الموافق ٢٦ ابريل

١٩٢٩ م

عباس محمود العقاد

تغني شهرة « عباس محمود العقاد » في عالم الأدب شعرا ونثرا عن تعريفه .

« همزيتة »

هي قصيدة القاها بين يدي الملك عبد العزيز في اليخت الملكي (المحروسة) يوم ذكرى جلوس جلالته الموافق ٥ صفر ١٣٦٥ هـ يناير ١٩٤٦ م يقول فيها :

أسد العرين يخوض غيل الماء يا بحر راضك قاهر الصحراء
وعجيب من حيث الطبيعة ان يخوض اسد العرين غيل الماء .. ولكن قاهر الصحراء
سهل عليه جدا أن يُروِّضَ البحر .. وان يخوضه . فالصحراء بحر جاف واسع مخوف ومن
راضها سهل عليه بطبيعة الحال ان يروض البحر ذا الطبيعة المرنة اللينة .

حياك باديبها وحاضرها معا فاغنم تحية يومه الوضاء
يوم من البشرى يردد ذكره ركب السفين وجيرة البيداء

اذا كان شعراء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وضُحاه وظهره يفتتحون قصائدهم
بالتشبيب برَبَّاتِ الخدور - ذوات الحسن والدلال ، وبالعبس المرقلات في القفار ، صوب
المهدف المنشود - فان شعراء العصر المجددين قد سئمو هذا التريد وملوا هذا التكرار ..
وكما قال خير الدين الزركلي في (داليتة) : (وكل مردد مردود) ولذلك نرى كبار شعراء
العصر الحاضر ينهجون منهجا جديدا يوائم عصرهم فقد مضى عصر العيس وأصبح
إفتتاح القصيدة بوصف محاسن المرأة أمرا مكررا معادا . وقد رأينا فيما مضى كيف افتتح
خير الدين الزركلي (داليتة) في يوم عيد الجلوس الملكي بوصف الطبيعة وعرض ما لاقاه
في رحلته البحرية صوب الحجاز من متاعب لكي يشهد يوم عيد الجلوس بمكة المكرمة وها هو

ذا زميله عباس محمود العقاد يسير في هذا التيار بهمزته ، فيفتتحها بشيء من الوصف لصاحب الذكرى يشوب به شيئاً من مظاهر الطبيعة : بحرها وبرها في عرض عابر خفيف لطيف .. ومن ثمت يلج إلى الغرض الأصيل من إضفاء الثناء على الملك الجليل ... والدعاء له بالعمر الطويل ، حتى يحقق برامج الإصلاحية الكبرى لهذا الجيل ، وللأجيال المتعاقبة من أمة العرب والاسلام :

عش يا طويل العمر عيش معمر تحيا به أمم من الأحياء
ما خص طالعك الرياض بيمينه بل فاض من عم على الأرجاء
حق المواطن حين يذكر عهده في الحمد والتبريك حق سواء
لا غرو نذكره ونهتف باسمه في هذه الآفاق والأجواء

ويمضي الشاعر في استعراض أطراف من عالم الطبيعة ، ساق ذلك ليدخل منه إلى الغرض المقصود بالذات من القصيدة .. فهذا فن جديد وطريف ، ومن فرسان ميدانه كل من عباس محمود العقاد وخير الدين الزركلي ، فهما وحدهما بين الشعراء العشرين الذين اخترنا لهم من قصائدهم ما دوناه في هذا البحث - هما وحدهما اللذان طرقا هذا الباب ، ووفقا بهذا المحراب ، يقول عباس العقاد :

ان السذي غمر المليك بفضله ساق البحار اليه في البُشراء
لم يقترن بالبحر عيد جلوسه الا لعمر زاهر ورخاء

ويبدو من هذين البيتين ومن البيت الاول في القصيدة تسجيل شعري شيق للاتفاق بين يوم جلوس الملك عبد العزيز ويوم ركوبه البحر ، فنسج الشاعر من هذه (المصادفة العجيبة) رواية شعرية جد قصيرة ولكنها جد محبوبة .. بطلها عبد العزيز آل سعود ومكانها البحر ، ومُشَاهِدُهَا الشاعر عباس محمود العقاد .

ويرفع لنا الشاعر ، الستار عن فصول هذه الرواية ، فهذا عبد العزيز تتبدى طلعتة العربية المشرقة الكريمة بحراً من الجود والانسانية والشهامة يمتطي بحراً من الماء . وها هو ذا على اريكة من أرائك اليخت الملكي يشرق اشراقه البدر بين الكواكب وتشرق طلعتة في

مرآة السماء الصافية في المكان البهي فتنطبع صورته المشرقة على سندس البحر الاخضر
الجميل ، بدرا ثانيا ، أشرق من البدر وأكرم من البحر :

وإذا به عبد العزيز بطلعة كالبدر بين كواكب الغبراء
وأرى السماء تأملت مرآتها في الماء فانطبعت على الخضراء
أرض النبوة حين تم فخارها خلعت عوارضها على الدأماء

و (الدأماء) هي الأرض .. وهذا الملك المهيب الموهوب ذو النفس الزكية الطاهرة
والطبيعة الشجاعة الباهرة ، والكرامة الراضية المرضية هو عبد العزيز الذي هو :

ملك أناف على العقول بعزمه وأتم ذاك بما يراه الرائي
جمع المهابة في العيون وفي النهى وسما بمجد أبوؤ وإباء
يرعاه بارؤه ويحرس ركبته في كل أرض تحت كل سماء

وبيت الدعاء الاخير من القصيدة نلمس فيه لفته بارعة وملاحظة رائعة من الشاعر ..
فالملك عبد العزيز الذي قيلت القصيدة في ذكرى يوم جلوسه السعيد قد وافقت هذه
الذكرى يوم امتطائه البحر إلى مصر ، فالشاعر يدعوله بالمناسبة القائمة برعاية الله له ،
وبحراسته لركبه ، ان سار في بر ، أو سافر على بحر .

وهكذا نجد توافقاً جميلاً محبوكاً بين مطلع القصيدة ، في براعة الاستهلال . وبين
« ختامها » في مسك الاختتام .^(١)

١ - نشرت هذه القصيدة في كتاب « مع عاهل الجزيرة العربية » لعباس محمود العقاد ، طبع المطبعة العصرية في
بيروت .

عبد المحسن الكاظمي

في شعر عبد المحسن الكاظمي ، نفحات قوية من الشعر العربي القديم الأصيل ، وفيه مضامٍ مشرقة وعميقة الجذور من الشعر العربي الحديث ، فهو مخضرم الشعر ، وشعره من نوع الشعر السهل الممتع المتنوع وقد عرف بميزة خاصة جعلتنا ندرك بما لا يحتمل الريب أن كثيراً من شعراء العرب القدامى وبخاصة في الجاهلية وصدر الاسلام ، كانوا يرتجلون قصائدهم او يقولونها في شبه ارتجال . على السليقة كعمرو ابن كلثوم ورؤبة بن العجاج وغيرها .. فعبد المحسن الكاظمي شاعر العرب ، الجهور في العصر الحديث ، يتفوق على الكثيرين من معاصريه او عليهم جميعا وبخاصة الارتجال القوي المنسجم في شعره ، فهو مُفَرَّدٌ عَلمٌ في هذا الميدان لا يجاربه فيه منهم أحد .. يضاف إلى ذلك طول النَّفس الذي وُهِّبَهُ وجزالة في ارتجاله تساويه بالشعر المتقن ولربما أربت عليه قوة وجمالاً وأسرا .

للكاظمي قصيدة (دالية) بلغت عدة ابياتها (٧٩) بيتا قالها في جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود .. ونشرتها حينئذ جريدة أم القرى : الجريدة التي حافظت واحتفظت بحراسة جزء غير قليل من تراثنا الأدبي الحديث وبخاصة الشعري منه في الفترة الأولى من حياتها قبل أن تصدر الصحف والمجلات في المملكة العربية السعودية .. ولذلك تعتبر جريدة أم القرى في هذا الميدان رائدة ومرجعاً ثميناً .

وقصيدة الكاظمي الدالية هي كسائر قصائده من الشعر السهل الخفيف على اللسان الثقيل في الميزان ، وهي من الشعر المجزوء القصير . يقول في مطلعها :

قد	أثرع	الحوض	فرد	وأينع	الروض	فرد
يا	حبذا	يوم	سرى	الركب	إلى	خير
تحملة	عيرانة	تعنق	فينا	وتخذ		
سفائن	تصدر	في	السير	وفي	البحر	ترد

ولا بد من مراجعة لمطلع القصيدة :

قد أترع الحوض فَرْدُ واينع الروض فَرْدُ

فقد اشتمل هذا المطلع علي محسنات بديعية قيمة .. (فَرْدُ) الأولى مكسورة الراء ، و (فَرْدُ) الثانية مضمومها .. و (رِدُ) المكسورة الراء امر من (الأورُودُ) .. و (رُدُ) الثانية امر من (الرّود) وهو (القصد) .. وقد جمع الشاعر إلي هذا الجناس اللطيف الخفيف^(١) ، جناساً آخر يتمثل في (الحوض) في الشطرة الأولى ، و (الروض) في الشطرة الثانية وقد جاء الجناسان طبيعيين ولا اثر فيهما للتكلف ولا للتعسف ومتي كان الجناس من هذا القبيل فهو من (بلاغة الكلام) التي تزين شعر الأعلام . وفي هذا المطلع ايضاً براعة استهلال واجادة للمدخل وتجميل له ، (فحوض) كرم ابن سعود مترع فليرده الوارد ، فهم سيلاقون به ربا ، و (رَوْضُهُ) يانع ومثمر ، واذا قصده (الرواد) فسيجدون فيه شبعاً ورفاهية .. فَرْدُهُ أيها الشاعر الكاظمي وَرْدُهُ فأنت ان وَرْدَتَهُ اورْدَتُهُ ظافر بنعيم وتكريم ، وبر وشبع ورفاهية وتقدير . والشاعر مقيم في بلد بعيد عن المملكة يفصل بينها بحر وبر .. فلا بد له من مطية يركبها ليحقق هذا (الورود) إلي الحوض المترع ، وليحقق هذا « الرّود » إلي الرّوض اليناع الثمار .. والشاعر عربي النزعة ، في شعره .. فماذا يمتطي اذن ؟ انه سيمتطي إلي بلد ممدوحه الجواد ، سفائن البحر ، وسفائن الصحراء ، وسيكون امتطاؤه لسفائن البحر في المرحلة الأولى من رحلته ، وسيكون امتطاؤه لسفائن البر (الابل) التي تعشق به وتجدُّ في المرحلة الثانية من سفرته .. ولا يَخْطُرُنَّ ببالك ايها القاريء أن الكاظمي شاعر العرب المتعلق بشعرهم القديم والحافظ لتراثهم سيتحول شعره الحديث مع عصره الحديث من امتطاء الأثيقِ الدُّلِّلِ إلي امتطاء السيارات أو الطائرات .. فذلك أمر يعتبره الكاظمي خروجاً عن خط الأدب الأصيل والشعر الجميل الذي رسم لنفسه السير في خطه إلي أبعد مدى - هذا وبعد تمهيد الشاعر للغرض المنشود يهجم علي ما يريد فيقول :

يا أمل العُربِ بك العُربُ علي العصر تمَدُّ

١ - يسمي هذا الجناس (المضارعة) عند قوم اذ قالوا : انها « ما ناسب اللفظة في الخط فقط » (العمدة) لابن رشيق

ويكتفي بهذه الجملة الصغيرة في معناها ، الكبيرة في معناها ، ثم يعطف من الملك

الذي يخاطبه إلى الشاعر المخاطب - بكسر الطاء - فيقول لنفسه :

ويا غليل القلب ما للقلب من حركٍ بُدِّ
قد سرَّك الأمن فلا تخفَّ تباريحَ الكمدِ

فاذا انتهى من هذه « اللقطة النفسية » التي شد بها من قوى روحه المنهكة فانه موجه

الخطاب إلى الملك العربي الشهم الكريم ، وهكذا نراه يعود إلى اجتلاء مواهبه الساطعة

وإلى التحدث إليه فيقول :

يا ملكا عاش له مُلكُ العلاء إلى الأبد
ورب مُلكٍ لسوا عمره يوم وعد
فداه من سُدَّتْه خيالة من العدد
علاؤه عَلَمْنَا أن المعالي لا تحد

لقد نثر الشاعر الكاظمي في تمجيد هذا الملك العظيم الذي تخيل نفسه ماثلاً بين يديه

وهو يُلقِي قصيدته هذه (الدالِّية) وحينما صعد به الفكر إلى القمة استشرف من عل إلى

تحقيق ما يرجو تحقيقه للمجتمع العربي المكدر المجهد حينئذ فيقول :

يا ملك العرب أقيم ما في الطباع من أودٍ
قد شهد اليقين في وجه الصباح من شهد
إن تكُ في « الرياض » أو في « حائل » أو في أحدٍ
فأنت للعرب حمي وأنت للعرب سند
أقام سيفك الذي أدب كل من جحد
أقام عزمك الذي يقصف منــــــــــــه ويحد
فمن تسوء سيرته فذاك خصمك الألد
العرب قومك الألى في المجد جازوا كل حد
فصلُ بهم متي تشا وقل لهم متي ترد

وقد طرق الشاعر احمد بن ابراهيم الغزاوي معني قوله :

فمن تسوء سيرته فذاك خصمك الألد

حيث قال في « رأيته » :

حتى استقلت زمامها فجعلتها أرضا تقدر بالتقى وتزار
فأصاب « حدُّ الله » كل أخي هوى حقت عليه شقوة وخسار

وقد سمي الشاعر الكاظمي مدنا ثلاثا في المملكة العربية السعودية هي : الرياض ،
وحائل ، والمدينة التي عبر عنها بأحد جِبَلِهَا المعروف تسمية للكل باسم الجزء ، وأضاف
اليهن مدينة الرياض مقر الملك عبد العزيز وعاصمة ملكه ، وأول أرض مس جلده
تراها .. فقال :

يا حبذا « الرياض » من ملتجيا لمن قصد

وأضاف إليها « أم القرى » العاصمة المقدسة و« مدينة جدّة » ثغر الحجاز الأول :

وحبذا « مكة » من أمنية لمن عمد
وحبذا « جدّة » والبشر لديها مطرد

وقد امتلأ روع الشاعر حسرة وأسى ، ذلك أن شيخوخته وهنَّ عظمه وما اصطاح
عليه من أمراض الشيخوخة الموهنة قد حال كل ذلك بينه وبين أمنيته الغالية في القدم إلى
المملكة ، ليمثل بين يدي عبد العزيز ، ولْيُسْمِعَهُ بنفسه قصيدته التي قالها فيه :

لولا السقام لم يعقني صاحب ولا ولد
ولم تكن على الوني لي طاقة ولا جلد

وهو في هذا نقيض زميله خير الدين الزركلي فيما حدثنا به في مطلع قصيدته « الفائية »
وكذلك لم يحظ الكاظمي بما حظي به عباس محمود العقاد من مرافقة عبد العزيز في رحلته
البحرية صوب القطر المصري ، وقد كان عباس قدم إلى المملكة لهذه المهمة خاصة ، فقال
قصيدته (الهمزية) التي سجل فيها مشاهد رحلته مع الملك العربي الكبير ، وقد اشرنا
إلى ذلك في البحث الذي عقدناه لشعره في مدح عبد العزيز .

ثم يقول الكاظمي مسجلا يوم مبايعة الملك عبد العزيز بشعره المرهف المؤنس :

في مثل هذا اليوم والأيام تبلي وتجد
بُويَعَ أسمى ملك يسير في الملك سعد

ويعضي في طريق التناء المعطر على الملك المجد ويقدم خلال ذلك حكمة شعرية عالية
اذ يقول :

لا يعدم الفوز المبين من على الله اعتمد
علي علاه ساهر من أمن الليل رقد

الملك الساهر:

هذا وقد كرر الشعراء موضوع سهر عبد العزيز على حراسة ملكه وصيانتته من عبث
العابثين فقال في ذلك احمد فتحي في « ميمته » :

وصحوتَ للدينا بمقلة راصدٍ حَطُوتِهَا . والعالمون نيام
فوقيتَ شعبك كل خطب فاجع شَرِبَ الشعوبُ براحتيه وهاموا

وقال خير الدين الزركلي في « دالته » :

يقظ كأن لقلبه ولعينه رَصَدَيْنِ لا يُعْيِيهَا مرصود
عرش بناه علي النضال عماده ودعامة الايمان والتسديد
ما نام عنه مُوسِسًا ومنظما ستين حولا بيتنى ويشيد

وقال فؤاد الخطيب في (بائته) :

وقد سَهَرْتَ فنام الشعب في دعة وخاف من كان منه الشر مرتقبا

عود على بدء :

ويستمر الكاظمي ، فيقول :

شاد	صروح	ملكه	في	غير	عسف	ووطد
ذاك	فكاك	أمة	من	صفد	فيها	رصد
(عبد	العزیز)	والذي	نعهده	اما	نعد	
(عبد	العزیز)	ذكره	في	طيب	الذكر	خلد

ويعود إلى وصف بحر كرمه ، والكرم دائما منتجع الشعراء ، وهدفهم البعيد أو القريب :

بحرك مَدُّ كَلِهْ إِنْ جَزَرَ الْبَحْرُ وَمَدَّ

ثم يشيد بمزاياه وبمواهبه فيقول :

الناجل^(١) الْأَصْلَبُ رَأْيَا فِي الْأُمُورِ وَالْأَسَدَ
أَرَاؤُهُ وَأَفْئِدَةَ حَيْثُ ضَيْفُهُ تَفْدُ

ويختتم دليته بقوله :

رحي المعالي كلها في قرب وفي بعد
يدور حول قطبها من بلد إلى بلد
قطب رحاها (فيصل) و« فيصل » خير^(٢) سند

١ - الناجل في اللغة : الكريم النجل

٢ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ٢٦٦ الصادر في ١٣ شعبان ١٣٤٨ ، ١٣ يناير ١٩٣٠ م

عبيد مدني

عبيد مدني احد شعرائنا المرموقين في شعره طراوة وطلاوة ، ومع غزارة شعره ، وجزالته فان معانيه واسلوبه حديثان ، وله ديوان شعر ضخم سماه « المدنيات » لم يطبع بعد .
وقد نشرت له مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة وجريدة صوت الحجاز وجريدة البلاد السعودية قصائد عُزراً ، تناولت موضوعات شتى ..
وهو رصين العبارات منسجم التفكير في شعره ، ينتحل الفاظه انتخالا ويعني بها عناية بالغة حصيفة .

« داليتة »

نظم هذه القصيدة والقاها بين يدي الملك عبد العزيز في روضة الخفس في سنة ١٣٦٠ هـ ونشرتها جريدة أم القرى وجريدة صوت الحجاز في السنة ذاتها وذكرت هذه الجريدة ان الحاضرين في مجلس الملك عبد العزيز حين القاها بين يديه عندما سمعوا قول الشاعر فيها :

عبد العزيز ومن اذا ذكر اسمه قام الجميع له ودوى النادي
قاموا جميعا ، تجاوزا مع هذا البيت البليغ .

كما نشر الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه (شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز) بيتين من القصيدة وذلك بالصفحة ٦٧٧ ج ٢ ، ونشرها كذلك فؤاد شاكر في كتابه « رحلة الربيع » ونشرت ايضا جريدة « الرائد » المحتجبة التي كانت تصدر بمدينة جدة ، قصة قيام الحضور بتفصيل . والقصيدة رائعة ، محبوبكة الاطراف وتمثل صورة نابضة من صور الشعر الحديث المركز في بلادنا ، وهي مرآة من مرايا الشعر المصقولة اللامعة .. قال الشاعر في مطلعها :

بدت المعالم من شفير الوادي فاستوفز (الركب) الشعاع البادي

حيث الجلالة في أجل صفاتها
حيث الحمية والبطولة والقوي
حيث التقي الجمعان في أوجيها
حيث العروبة مُشْمَخِرٌ مجدها
حيث الفصاحة في روائع سبكا
حيث الساحة والطلاقة والندي
بل حيث (عاهلُ يعرب) وإمامها
(عبد العزيز) ومن إذا ذكر اسمه
(ملك) يرى فيه الملوك صحيفة
يترسمون خطاه في احكامهم
قبس يشع الهدى من جنابه
وفي البيت الاخير : (قبس يشع الهدى من جنابه) رمز إلى ما يقوم به دواما من

الدعوة للاسلام والاخلاق الفاضلة المنبثقة منه ..

ويجسد عبيد مدني في مرآة شعره الصافية ، مفاخر عبد العزيز ومآثره في بلاده وما اثمرت
تلك الايادي الجسام من ولاء خالص لجلالته شامل لآبناء البلاد :

مولاي انا (وقد) من خلفتهم
أنهلتهم بالقرب منك هنيهة
وَدُّوا لَوْ اسطاعوا المشول جميعهم
ما كنت فيهم غير أحني والد
وملأت بالاكبار كل نفوسهم
والعرش ما ترسو قواعده على
وقد أضاف عبيد مدني إلى « همزته » القأ ، بالاشادة بشخصية (الفيصل)

العظيم فقال :

لولا تصبرهم بطلعة (فيصل)
هو مثل ما أملتة وعهدته
نفدت جلاذتهم وأي نفاذ
من رأفة وعدالة وسداد

هذا وقد كان عبد المحسن الكاظمي طرق هذا الميدان في الايات الثلاثة الاخيرة من

« داليتة » حيث قال :

رحي المعالي كلها في قرب وفي بعد
يدور حول قطبها من بلد الى بلد
قطب رحاها (فيصل) و (فيصل) خير سند
والتاريخ والواقع يشهدان بصدق فراسة الشعاعين في « الفيصل » العظيم .

عود على بدء

ويعود الشاعر الى بسط وفاء الشعب السعودي للملكه الحاني عليه فيقول في أبيات

جيدات :

أنا نبشك ما تكن صدورهم من صدق تضحية وعمق ووداد
هذي رسالة أمة أنشأتها فتظلمت بلواتك المتهادي
علمتها معني الحياة فحطمت بقواك كل عوائق الاصفاد
علقت بعرشك والاماني جمة فاسترسلت لطماحها المتماذي

وتسرح شاعريته المطلقة في آفاق العالم الكتيب الحسير في تلك الظروف القاسية
يفعل نيران الحرب العالمية الثانية المشتعلة التي كان اوارها يجلل آفاق الدنيا قاطبة فيجد
الشاعر المحلق ان هذه البلاد بفضل الله ثم باهتمامات ملكها عبد العزيز ما زالت بخير فقد
وقاها الله شر احوال الحرب وويلاتها ، فأصبحت كالواحة الخضراء المحاطة بالقفر الاجرد
المحرق ، او كالروضة الغناء في وسط الحرار البركانية الثائرة الجارية في جوانبها رياح
السموم واليحموم طالما ان الروضة الاريضة هادئة مطمئنة تنفحها نسبات عذاب ، يقيم
المواطنون بها هانتين كل الهناء يقول :

مولاي قد هز الشعوب ودكها هول ألم ففتت في الأعضاء
فتكت بها الحرب الضروس وزلزلت اركانها وأتت علي الاطواد
صرع الرجال وغادروا اعراضهم يلجان للأغوار والأنجاد
وتشرد الاطفال في أنحائها يتسكعون علي طوى وقتاد

أما بلادك فهي ترفل غبطة
أما بلادك فهي في استقرارها
جنبها الأحداث حتى أصبحت
لم تقتنع إذ صنتها ورعيتها
حتى افضت لها الهناءة شاملا
ووسعتها بالصالحات وبالجمي
هذا سبيل الملك الا أنه
هل كل من قاد الشعوب محقق
ويختتم « داليتة » بقوله :

لا أسأل الله الكريم لأمتي
الا بقاءك فهو خير مراد^(١)
عرض وتحليل :

كان الشاعر عبيد مدني قد البقى هذه القصيدة بين يدي الملك عبد العزيز رحمه الله في
روضة الخفس من ارض نجد ممثلا لوفد المدينة المنورة الذي شرف بزيارة الملك عبد العزيز
مع وفود أخرى من الحجاز، استجابة لرغبته الكريمة . وكان العالم لا يزال يومئذ يكتوي
بنيارات تلك الحرب المبيدة الشاملة في كل مكان الا هذه المملكة العربية السعودية فقد
انقذها الله من احوال الحرب الضروس بحكمة الملك الموفق عبد العزيز وبعد نظره ، ولذلك
رأينا الشاعر عبيد مدني يستثني « بلاد الملك عبد العزيز » من الولايات التي طَوَّقَتْ أَقْطَارَ
العالم يومذاك ، فهو يقول في ذلك :

أما بلادك فهي ترفل غبطة في الأمن والنعماء والاسعاد
والواقع الملموس بالنسبة لنا نحن الذين عاصرنا تلك الاحداث المهولة وشاهدنا
بالعين الواقع الملموس هو أن البلاد السعودية كانت بمنجاة من كل شرور الحرب ... كانت
في سلام عام ، وكانت ترفل في خلل من السعادة والرفاهية والاستقرار والاطمئنان التام

١ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ذي الرقم ٨٤٨ الصادر في ٢٣ صفر ١٣٦١ هـ ٢١ مارس ١٩٤١ م
حيث الحرب العالمية الثانية في أوج غليانها .

وهذا المعنى الذي طرقة الشاعر عبيد مدني ، طرقة شعراء آخرون عاصروا تلك الحرب ورأوا أهوالها المدمرة على اجزاء كبيرة من الدنيا باستثناء بلادنا فأكبروا لذلك سياسة الملك الحكيم الراشد ، واثنوا على عبقريته الملهمة وقد شاهدوا كيف ان زعماء الحرب الكبار كانوا يخطبون وده يومئذ ويستثيرون بصائب رأيه وثاقب فكره .
ومن أسهم في هذا المعنى الشاعران : احمد فتحي ومحمد بن احمد العقيلي وكانا من شاهدي العيان لما كان . يقول أحمد فتحي في (ميمته) التي قالها في ذكرى بيعة الملك عبد العزيز :

وصحوت للدينا بمقله راصدٍ حطواتها ، والعالمون نيام
فوقيت شعبك كل خطب فاجع شرب الشعوب براحتيه وهاموا
وظللت في امن أظلك فيؤه إن قيل : حرب ، قلت انت : سلام
وتظامنت مهج العباد وحوها تترى خطوب ما ترد جسام
ويقول محمد بن احمد العقيلي في نفس المعنى ، كان من حاضري اعوام تلك الحرب :
جنبت شعبك منها كل كارثة بالله ثم برأي منك معتصم
فليشكر الله شعب بات مغتبطا في نعمة منك تبديها وتختتم
واذا أردنا أن نُحكّم قرار « تاريخ الأدب » في الأدب فان هذا القرار يقول لنا بحق
ان السيد عبيد مدني كان أسبق الى المعنى من زميله الشعارين الاستاذين أحمد فتحي
ومحمد احمد العقيلي .. فالسيد عبيد كان قد نظم قصيدته والقاها في سنة ١٣٦٠ هـ كما
تنص عليه جريدة ام القرى ، والاستاذ احمد فتحي نظم قصيدته ، والقاها في ذكرى البيعة
الملكية بسنة ١٣٦٩ هـ أي بعد تسع سنوات من انشاء قصيدة عبيد مدني كما تشهد به
جريدة أم القرى . والاستاذ محمد احمد عيسى العقيلي نظم قصيدته والقاها في جازان سنة
١٣٦٣ هـ كما يشته كتاب « شعراء الجنوب » وكان ذلك بعد قصيدة السيد عبيد بثلاث
سنوات . وعلى كل فالأمر لا يخرج عن توارد الخواطر الكثير الورد في الشعر .

علي احمد باكثير

علي احمد باكثير شاعر مخضرم . ارتفعت أسهم شعره عن كثير من شعراء عصره . وله روايته الشعرية الاولى : « همام » عن مجتمعه بحضرموت ، ومع انه شاعر فاني لم أر له ديوان شعر مطبوعا .

« لاميته »

شارك علي باكثير شعراء عصره في مدح الملك عبد العزيز والثناء على اعماله . وقد مثلت قصيدته اللامية شاعريته في هذا الشأن . ونلاحظ ان هذه اللامية لم تفتتح بنسيب ولم يجعل لها مقدمة يدخل من بابها الى هدفه .. بل انه هجم علي موضوعه رأسا فقال في مطلع القصيدة :

ألا هل مَوْلٍ مِنْ علا^(١) العرب مقبل ؟ وهل عائد ذاك الفخار المؤثل ؟
تداعت علي العرب الخطوب كأنها عطاش من الأنعام ، والعرب منهل
ثم مضي يصف لنا اشجان العرب في ذلك الوقت ومصاعبهم ومتاعبهم ثم قال :
الا إن ضوءا في (الحجاز) فتيلهُ (بنجد) تراعيه العيون وتأمل
يُشَقُّ به جنح الظلام فيهتدي على نوره الساري وينجو المضلل
ومهما يكن ذنب الزمان فانه بأل سعود جاءنا يتنصل
ويمضي في طريقه ، وهو يقص علي قراء قصيدته ، قصة هذا النور ذي الشعاع
الهاديء الهادي ، المتمثل في النهضة الكبرى التي قام بها الملك عبد العزيز في سبيل اعادة
مجد العرب ، والاسلام واستعادة ازدهارهما .. وقد بدأ الشاعر القصيدة بالوثبة الكبرى التي

١ - هكذا نشرت الكلمة في جريدة أم القرى بالعدد ذي الرقم ٤٥٢ الصادر في ١٩ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ ١١ اغسطس ١٩٣٢ م ويبدو ان الصحة : (عنا) بدلا من (علا) .

قام بها الليث المصور المثلّة في فتح مدينة الرياض يقول :

فوافي بهم سور (الرياض) فأنشأت به ذكر الماضي تُولّي وتقبل
تسوّره (عبد العزيز) وصحبه كذي ليد يقفوا الخطا منه أشبل

وتابع تقديم فصول القصة على مسرح قصيدته حتى آخرها .. ومن ثمّ نراه يقبل على
الملك عبد العزيز زعيم العرب وخدام الحرمين الشريفين فيطلب اليه في أدب جم ان ينهض
بالجزيرة نهضة شماء تجعل أمة العرب أرقى الامم ، وتكفل لها العزة والكرامة ، إلى مطالب
حيوية اخري تعود لمصلحة شباب العرب وتهديهم سواء السبيل .. يقول :

أمير الهدى انهض بالجزيرة نهضة لسبق شعوب الارض للعرب تكفل
ولقن شباب العرب منك بطولة تعلمهم أن يستقلوا ويعتلوا
ولا غرو أن يقدم الشاعر العربي القدير النقي الضمير للملك عبد العزيز مطالبه
الاصلاحية فانه يعرف أن الملك عبد العزيز وقف حياته المباركة على ايجاد اسباب
النهوض للجزيرة من الكبوة الكبرى التي منيت بها ، وطالما عمل جاهدا ومخلصا في سبيل
رفعة شأن العرب والمسلمين وإعادة سابق مجدهم اليهم ، وارجاع سالف عزهم إلى
ربوعهم . فمطالب الشاعر الكبير من الملك العظيم تجد تجاوبا نفسيا صادقا وصعيدا خصبا
تنمو فيه شجرتها وتزهر وتثمر .

« بائيته »

هذا ولعليّ باكثر قصيدة (بائية) اخرى في مدح الملك عبد العزيز ، كان مطلعها
كمطلع زميلتها السابق ذكرها : كان مطلعها خاليا من تراويق الغزل وذكر الأطلال والديار
ووصف الأيئق الذلل .. انه افتتح القصيدة بالغرض المنشود رأسا فقال :

لا ينهض الشرق حتي ينهض العرب . ونهضة العرب الكبرى لها أهب
وكلمة (أهب) هي مضمومة الهمزة .. جمع (أهبة) .. ويعني بها أخذ الأهبة والقيام
بالاعداد للأمر المطلوب ، وحق ما ارتأه الشاعر ، فان العرب هم القلب الخفاق والعقل النير
وذوو المبادئ القوية والاخلاق الرفيعة فاذا نهض العرب نهض الشرق أجمع .. كالقلب

الصحيح النابض يهبُ الصحة والنمو والقوة للجسم ، على أن نهضة العرب لها لوازم وروافد ذات أهمية بالغة لا بدُّ لها منها ، ولا تتم ولا تنجح ولا تصح الا إذا تحققت تلك الروافد مُقدما ، هي كقوادم الطير ، لا يطير بها ما لم تسعفها الخوافي على الطيران .. ويمضى بنا بين جداول هذا الروض الانيق من الشعر فيقول :

(عبد العزيز) : كبير العرب أنت لها ضاقت بنا الحال واشتدت بنا الكُربُ
أما ترانا عبيدا ، في مواطننا نحني الرؤوس لمن عَزَّوا ومن غلبوا
انه ينادى الملك عبد العزيز ، نداء الشاعر المتحمس الخالص ، يقول له في حرارة المؤمن وتقدير العربي : أنت لها وحدك يا عبد العزيز ، أنت للنهضة المنشودة .. أنت بطلها المغوار ، أنت محققها باذن الله .. وهذه النهضة المرتجى منك تحقيقها نرجو أن تفرج عنا ما تعانيه بلادنا العربية من الاستعمار الخائق الكارثي ، فقد ضاقت بنا الحال واشتد بنا الكرب والمصائب . ها نحن أصبحنا عبيدا في بلادنا بعد أن كنا سادة أحرارا فيها ، وأصبحنا نحني رؤوسنا مكرهين لمن تغلبوا علينا .

ولا يكتفي الشاعر البارِع بهذا المطلب الكبير .. بل انه يقدم معه للمليك مطالب جمة هو قمين وكفيل بانجازها : كما حصل فعلا .. فيقول له :

بُثَّ المعارف في ارض الحجاز وفي نجد تُشْرُك منها أمة عجب
والعلم غيث اذا ما انهل ساكبه فالنصر أحسن ما ينمو به العشب
هذي حياض علوم الكون مترعة ونحن عَطَشُنا وقد أودى بنا القَرَبُ^(١)

وها هو ذا الشاعر باكثر يحث الملك الكبير علي أن يوالي بذل جهوده الموفقة في سبيل رفع منار العلم في بلاده حتي تنهض من بلاده امة عجب تشد ازره في ترَسُّم مناهج التطور الحميد للأمة العربية جمعاء ، ثم يشيد بالهمة العليا يرتدي حُلَّها الفضاضة الزاهية جلالة الملك عبد العزيز فيقول له مناديا :

يابانسي الملك من فولاذ همته يحوطه من حواشيه القنا الأشب
وقائداً كان نابليون ثانياً لولا العروبة والاسلام والأدب

١ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ذي الرقم ٤٥٢ الصادر في ١٩ ربيع الثاني ١٣٥٢ - ١١ اغسطس

ويعضي في حوار رائع من جانب واحد واصفا مكارم عبد العزيز - مثنيا مجليا في وصفه
وشنائه .. حتى اتي بالبيت العجاب في الثناء العاطر على نهوض عبد العزيز الذي انبلج
(كما ينبلج الفجر الصادق) .

يا (صادق الفجر) وافي بعد (كاذبه)
و (صادق الفجر) يبدو قبله (الكذب)

علي بن محمد السنوسي

شيخ شعراء جازان ، مكّي المولد والمنشأ ، جازاني الاستيطان والبروز .. تولى منصب القضاء في الجنوب قبل الحكم السعودي وبعده ، وكان مع ذلك شاعرا جيد الشاعرية قصائده في مديح الملك عبد العزيز سلسلة جميلة ، ولا اثر للتصنّع فيها ، يطرق المعاني التي كان يطرقها شعراء العرب في عهد السلف فتكسبها شاعريته الموهوبة نُضْرَةً ، ويختار الألفاظ اللغوية الأنيقة في قصائده ، فكان شعره على مشرب الشعر العربي الأصيل ، وربما تكون شاعرية ابنه محمد بن علي السنوسي قد تفتحت براعمها على مر النساء العذّاب من شعره ، وهو طويل النفس في قصائده .

وكان قد نشر شعره في مديح الملك عبد العزيز بمجلة المنهل في الستينات من هذا القرن الهجري ، وله قصائد اخرى منشورة في كتاب (شعراء الجنوب) الذي اخرجه محمد ابن احمد عيسى العقيلي ومحمد بن علي السنوسي شاعرا جازان .
وتوفي علي بن محمد السنوسي سنة ١٣٦٣هـ .

« رأيتاه »

هي من خيرة قصائده وهي من بحر البسيط وقد جعل عنوانها شطر احد ابياتها نزعه من صلب القصيدة وركبه رأسا لها .. على العادة المألوفة لدى بعض الشعراء المخضرمين ..
قال :

قالوا : رَقَى العرشَ من أمست تدين له
(ربيعة) و (بنو قحطان) أو (مضر)
(صقر الجزيرة) من أَلَقَتْ أَرْمَتْها
اليه اقيالها والصارم الذَّكر

(عبد العزيز) الامام المرتضى خلقا
مزجي الكتاب حتى يستبيح بها
لم يدر من أبصرت عيناه جَحْفَلَهُ
والجو مَحْلُولُكَ الأرجاء واعتنقت
أَجِيْشُهُ بانسيال في تدفقه
وحيث يمضي مضت قدام فيلقه

ويستمر الشاعر الكبير في متابعة قصيدته حتى يقول عن عبد العزيز :

يقول مستنصرا بالله خالقه (اياك نعبد) يا من عنده الظفر
وبعد هذا يشيد بالواقف الخالدة التي وقفها (عبد العزيز) في سبيل جمع شمل
ابناء الجزيرة واتقاذهم من التمزق الذي كاد يودي بهم ، وحياطتهم بحنوه وعطفه السابقين
فازدهرت الأرض وعم الرخاء والهناء البلاد وشملها الاستقرار من أدناها الى أقصاها .
يقول في ذلك :

وأنقذ العَرَبَ العرباء من فتن
كانت لَعْمُرُكَ لا تنفك ثائرة
ويقتل البعض بعضا من حميتها
حتى تداعت الى الغارات وارتكبت
فلم يزل كالأب الحَنَّانِ يحضنها
وضم اطرافها ضماً به التأمت
وبث فيها الهدى بالذكر موعظة
وحاطها بدمار لا تزيله
هانحن في عصره (الزاهي) على دعة
فالدار عامرة ، والسحب ماطرة
إن المعاني الواردة في الأبيات المتقدمة لا تخرج الا من تامور^(١) شاعر قوي

(١) التامور : القلب .

الشكيمة في عالم الشعر .. انها تنساب كما ينساب النهر الدفاق علي حصباء ذهبية .
ولا يستطيع شاعر ان يفترع هذه المعاني الجسام ضمن قوالها المسبوكة من درر الألفاظ
اللهم الا أن يؤتى من بيان الشعر قسطا وافرا ، وكما طرق هذه المعاني وهذه الأوصاف في
قوالب صيغ المشرقة وبطريقته العربية الصافية السمات المجردة عن التكلف وعن
التعسف طرق بعضها كذلك شعراء آخرون ومن بينهم شاعر العرب فؤاد الخطيب الذي
طرق المعنى ولكن بأسلوبه العصري اذ يقول في (بائيته) :

ان الجزيرة كانت أمس عارية واليوم قد لبست أثوابها القشبا
وهذا المعنى يضارع تقريبا قول علي السنوسي السابق :

هانحن في عصره الزاهي علي دعة وصفو عيش رغيد مابه كدر
فالدار عامرة ، والسحب ماطرة والأرض زاهرة والدين ينتشر
ومن ذلك بعد قوله ، عن العرب في جزيرتهم في عهده وقبله :

وأنقذ العرب العرباء من فتن كالسيل في جنح ليل ما به قمر
كانت لعنرك لا تنفك ثائرة في كل ناحية من نارها شرر
وقد طرق المعنى نفسه ايضا شاعر عربي آخر بأسلوب الشعراء القدامى وذلك
الشاعر هو محمد بن عثيمين اذ يقول في (لاميته) :

فقد كان في نجد قبيل ظهوره من الهرج ما يبكي العيون تفاصيله
تهارش هذا الناس في كل بلدة ومن يتعدّ السوق فالذئب آكله

عود علي بدء :

ويتأدى الشاعر علي بن محمد السنوسي في قصيدته . ويكمل إطار الصورة التي
رسمها لمزايا عبد العزيز علي بلاده فيقول عن انتشار الأمن في عهده الزاهر بعد ذلك
الزمن الكاسر الغابر :

والناس في ظل امن أصبحت معه هذي الحصون كلا شيء ولا القصر
يأوي الغريب اذا ما الليل أدركه في مَهْمَسِهِ ما به نبت ولا شجر

كأنما القفر دار، والخلا وطن لابن السبيل، ومن قد ضمه السفر
وحوله سيف عدل لا يفارقه يدور حيث تحل البدو والحضر
ومن يكن هكذا أيام دولته يطيب للناس في اخباره السمر^(١)

تلك صور جميلة رسمتها ريشة هذا الشاعر الكبير على لوح من بيانة الشعري
الصقيل .

ومن رأيي ان كلا من علي بن محمد السنوسي ومحمد بن عثيمين وابن بلهيد كل
ثلاثهم يتحون من بئر عربية واحدة غزيرة وقد توصلنا الى هذه النتيجة بعد دراسة شعر
هؤلاء الشعراء الثلاثة المعاصرين . وقد المعنا الى ذلك ايضا فيما كتبناه عن المديحيات التي
نظم عقودها الشعراان : محمد بن عثيمين ومحمد بن بلهيد في عبد العزيز بن سعود رحمه
الله .

« بائية علي السنوسي »

وما دمتا قد اقتطفنا ما راينا اقتطافه من حديقة شعر علي السنوسي في « رائيته »
فلننقل مسبار البحث الى (بائيته) التي هي صنوة في موضوعها لرائيته :

تمتاز بائية علي السنوسي بحديثها العبق في وصف مشروعات الاصلاحات الكبرى
التي ادخلها عبد العزيز على بلاده بعد ان استقرت سفينتها على جودي الاطمئنان الشامل
علي يديه يقول :

وذكرتنا (سليمان) النبي به مراكب من بساط الريح والسحب
من كل « طيارة » في الجو خافقة وكل « سيارة » خطافة الدرب
وقرب الله بعدا كان ايسره يضمني الركائب في سير من الخجب
ووفرت لكم الراحات في سفر في البر، والبحر، بعد الخوف والرعب

(١) نشرت هذه القصيدة في ديوان (شعراء الجنوب) وفي مجلة المنهل .

فاستغنموا الحج في أيام دولته فقد ظفرتهم بنيل القصد والأرب^(١)

وقد اكملت القصيدة (البائية) ما بدأت به زميلتها (الرائية) من عرض جوانب الإصلاحات التي بناها وحققها الملك الراحل لشعبه وبلاده حتى ازدهرت بعد قحول ، وانتعشت بعد ذبول ، وسارت في طريق التقدم والتطور إلى الأمام ، بعزيمة لا تلين ، وأقبال مكين .

(١) نشرت هذه القصيدة في (مجموعة شعراء الجنوب) .

فؤاد الخطيب

بِحَقِّ ، لُقِّبَ (فؤادُ الخطيب) بشاعر العرب . فشعره في الذروة من الشعر العربي المعاصر في كل ما طرّقه من موضوعات .. وهو في هذا ضريح لشوقي وحافظ ابراهيم والكاظمي وغيرهما من فحول شعراء العصر .

للشاعر فؤاد الخطيب جرس خاص ، ورنين خاص ، ولحن خاص ، يدخل إلى القلوب والآذان ، بدون استئذان ..

وهو في هذا كخير الدين الزركلي ، الذي له اسلوب خاص ينساب إلى القلوب انسياب الجدول الرقراق في المجري الملائم الجميل .

ولفؤاد الخطيب ديوانان أولهما : صغير الحجم ، صدر في عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م وثانيهما ضخم جمع اكثر شعره وترك أقله ، نشره على نفقته محمد سرور الصبان رحمه الله ... وكان صدوره في سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م وربما تكون بقايا من شعره الذي لم ينشر كانت موجودة لدى صديقه الحميم الطيب الساسي رحمه الله ، وربما تكون هذه البقايا قد وصلت إلى يد نجله الدكتور عمر الطيب الساسي .

قارع فؤاد الخطيب ، خطوط الزمان المعاكس في مطالع هذا القرن وأواسطه ، بسيف شعره الصارم ، فكان صوت الضمير العربي المدوي الثائر على الاستعمار والظلم الذي حاق بقومه العرب في كل مرفق وموقف آنذاك . وكان سوطاً ملتهباً على رؤوس أعداء العرب . ومن هذا المنطلق الذي التزم السير فيه إلى آخر شوط اعترف به كشاعر متفوق صادق الرأي محلّق الشعر في دنيا العرب الحديثة ، وبذلك اعترف به كشاعر من شعراء الرعيل الأول وقد استظل بأخيرة بفيء الملك عبد العزيز ، فوجد به خير مأوى ، وأمتع ظل .. وقد أطلق ذلك من عنان شاعريته ، فقام بجولات في رياض مآثر عبد العزيز ،

وهكذا ازدهرت شجرة شاعريته في هذا « المنطلق الجديد » واخضوضرت وتمت وأتت ثمارها الجديدة يانعة .

« داليتة »

غرس فؤاد الخطيب « دالية » جميلة في خميلة شعره .. وقد نظمها في ذكرى جلوس الملك عبد العزيز سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م وقال فيها :

ليث الجزيرة إن يهتف بها انتفضت لديه فاندفعت منها الصناديد
لو تستطيع الجبال التسم لانخلعت ركضا اليه وشدت خلفها البيد

تصوير مبدع ، جمع بين الحقيقة الرائعة والخيال المجنح ، في صوغ لا يتأتى الا لقروم الشعر الصاعدين فيه إلى الأعالي ، الحاوين لثروة كبيرة من كنوزه ، المرتوين من ينابيعه الثرة ، والغائصين في بحاره إلى الأعماق . ها هوذا يقول : ان اسد الجزيرة ان يهتف بها طلبا لنجدتها ورفعتها انتفضت لديه فاندفعت اليه منها الأبطال الصناديد ... وشاركهم - لو كان بوسعه في هذه الانتفاضة وفي هذا الاندفاع - كل من الجبال التسم ، والصحاري المتناوحة ... فلو استطاعا أن يفعلا ذلك ، لانخلعت الجبال من جذورها العريقة وأقبلت اليه ، ولقامت الصحاري وراءها تشد أزرها استجابة لنداء البطل الأكبر عبد العزيز بن سعود .. ويتابع الخطيب (القول) فيخاطب (أسد الجزيرة) بقوله :

يا لابس التاج وهاجا ومؤتلقا التاج فوقك قبل اليوم معقود
ومع روعة هذا المعنى فان الشاعر محمد بن بلهيد قد طرقة في (داليتة) أيضا فقال مخاطبا الملك (عبد العزيز) ومشيذا بعقريته نجله (فيصل):

لِتَجْلِكَ السَّعْدُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَشْهُودٌ وَفِي لُؤَاءِ وَطِيدِ الْعِزِّ مَعْقُودٌ
وفؤاد الخطيب يزيد في المعنى فهو يصف (التاج) بأنه (وهاج ومؤتلق) ويصفه بأنه كان (معقودا) قبل اليوم للملك عبد العزيز . ومحمد بن بلهيد يشيد بالسعد المشهود لفیصل بن عبد العزيز ، ويشيد باللواء المعقود لأبيه الملك عبد العزيز .. ويضيف الخطيب

الشاعر إلى ما تقدم قوله :

بوأت نفسك عرشاً لم تشده يد سوى يديك ، وهذا العزم مشدود
ونلت بالسيف ملكاً أنت سيده ولم يوَلِّكَ مرسوم وتقليد
ويمضي الشاعر في جملة وصفه الزاخرة بأفنان المجد الذي شاده عبد العزيز لنفسه
ولأتمته فيروي لنا قصة ذلك المجد من أولها :

لله انت ومن (جبرين) (١) قد وثبت إلى (الرياض) بك المهريّة القود
لم تسفر الشمس حتى عَجَلَتْ فطوت (عجلان) فهو صريع منك ملحود
واسترسلت بعدها الأمصار طيبة كأنها للغد المأمول تمهيد
صور متلاحقة وسريعة نظم الشاعر عرضها في شريط شاعريته الذهبي الممثل في ثلاثة
أبيات من رائعته (الدالية) .

ويقول عن الجزيرة قبل ان يضم شملها عبد العزيز اليه :

كانت ممزقة الأطراف مرهقة فآخذ منعفر ، والركن مهدود
فأصبحت بعد ضم الشمل مملكة بك استتب لها بعث وتجديد
وانها الخطوة الأولى لثانية أخري اشراب اليها نحوك الجيد
والمعاني المدونة في الأبيات المتقدمة والمعاني المسجلة في شريط الأبيات السابقة من
شيوخ الفوضى والاضطراب في البلاد قبل العهد السعودي ، إلى شيوخ الأمن واستتبابه في
عهده هذه المعاني يبدو لي انها مطروقة بالذات من قبل بعض معاصري فؤاد الخطيب من
الشعراء . وبخاصة بعض شعراء هذا البحث .. ومن بين هؤلاء الشاعر احمد بن ابراهيم
الغزاوي في (رائيته) اذ يقول فيها :

درجت سيئون بالمئات نعدّها لم يعمل فيها للبلاد منار
كانت لدى (التاريخ) موئل رهبة ضاقت بها الأنجاد والأغوار
حتى استقدت زمامها فجعلتها أرضاً تُقدّس بالتقي وتزار
والشاعر خير الدين الزركلي الذي يقول في (داليتة) :

عرش بناه علي النضال عماده ودعامه الايمان والتسديد

(١) جبرين يعني بها الشاعر : جبرين ، والجيم والباء متقاربتان في المخرج .

مانام عنه مؤسساً ومُنظِّماً ستين حولاً يتني ويشيد
ضم القلوب موحداً اشتاتها لله ثم لشعبه التوحيد

وعلي بن محمد السنوسي الذي يقول عن الملك عبد العزيز :

وضم أطرافها^(١) ضمّاً به التأمّت صدوعها وانجلي عن جوهها القتر
وقد طرق المعنى فؤاد الخطيب نفسه مرة أخرى في عرض له من نوع آخر حيث قال

في بآئيته :

إن الجزيرة كانت امس عارية واليوم قد لبست أثوابها القشبا
ومن طرقة ايضاً الشاعر محمد بن عثيمين حيث يقول في (لاميته) :

فقد كان في نجد قُبَيْلَ ظهوره من الهرج ما يبكي العيون تفاصله^(٢)
وعلي بن محمد السنوسي ايضاً حيث يقول في (رأيته) :

وأنقذ العرب العرباء من فتن كالسيل في جُح ليل ماله قمر
كانت لعمرك لا تنفك ثائرة في كل ناحية من نارها شرر
والشاعر محمد بن بلهيد في رأيته اذ يقول :

رست بعزمته أركان مملكة بنى قواعدها بالبيض والسمر

عود على بدء :

ومضى فؤاد الخطيب في « داليتيه » فيقول :

ضم الممالك من بدو ومن حضر كالسمط ضم اليه الشذُر تنزيد
وأسبغ الأمن ظلاً غير منحسر فالشاة ترتع لم يعرض لها السيدُ

« لاميته »

وعندما غرق لبنان في طوفان أزمة سياسية ، فاعتقلت السلطة الفرنسية في لبنان بعض

رجالته في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٤م تقدم الملك عبد العزيز آل سعود باسداء معونة جلييلة إلى

(١) الضمير في (اطرافها) عائد لعرب الجزيرة .

(٢) التفاضل ، بضم الصاد المهمله .. هكذا ورد في الديوان المطبوع .. ولعل الصحة كسر الصاد ، جمع تفصيل ، ضد الاجال ، وحذفت الياء للوزن .

لبنان . كما قدم تأييدا جسيما للجمهورية اللبنانية (١) وفي هذا الميدان الخصب رأينا شعر
فؤاد الخطيب ينطلق ويحلق :

لمن اللواء محلقا يتهلل والخيل تمرح في الشكيم وتسهل ؟
ولن تشمرت الكفاة تحمسا وكأتما البطل المدجج جحفل ؟
ليبك يا (عبد العزيز) فاتما للعرب عيدك نعمة وتطول
جددت فيه لهم قديم عهودهم فالتاج يشرق والسرور مؤئل
ووقفت ما (لبنان) عنك بمعزل فصدعت عنه الغل وهو مكبل
وأصاخ يطرب من زئيرك عندما دوى الزئير، وقيل فاض الرجل
هي وثبة الأسد الهصور وغضبة للحسق من ملك يقول ويفعل
ثم يشيد بأن أمل العرب هو وحدتهم واستقلالهم ورفع مستوى كيانهم وهذا الأمل
معقود على عبد العزيز محقق الآمال :

عقدت على عبد العزيز رجاءها وبه الرجاء محقق ومؤئل
ويعلن الشاعر أن جميع العرب يعرفون لشبه الجزيرة حقها، فهي مهدهم، وهي
كفهم وموتلهم الذي يلجأون اليه عند المدهمات ..
والعرب تعرف للجزيرة حقها هي مهدهم، هي كفهم والموتل
فاسأل بها الصفحات عن تاريخهم إن المعالم فيه لا تتبدل

« بآئيته »

في يوم ذكرى الجلوس الملكي المصادف ٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ ٨ يناير ١٩٥٣ م
وقف الشاعر فؤاد الخطيب امام الملك عبد العزيز يقول :

مولاي بورك يوم أنت صاحبه اليك جاء يجبر الذيل منتسبا
ان الجزيرة كانت أمس عارية واليوم قد لبست اثوابها القشبا
فكان سيفك نوراً في الظلام لها وأين مثلك سيف يخلف الشها ؟

(١) جريدة أم القرى .

وعبارة : (النور والظلام) بالنسبة للجزيرة ، وبالنسبة للملك عبد العزيز قد تكرر ورودها بأسلوب وبآخر.. فقال علي باكثر في « لاميته » :

ألا ان ضوءاً في الحجاز فتيله بنجد ، تراعيه العيون وتأمل
يشق به جنح الظلام فيهتدي على نوره الساري وينجو المضلل
ويستمر فؤاد الخطيب في وصفه لجمع الملك عبد العزيز لاشلاء-الجزيرة واتحادها به
فيقول :

جمعت من شملها الاشلاء فاتحدت بعد الشقاق وقد كانت لمن نمها
يمزق الغزو منها كل ناحية وينشر الرعب والاملاق والسعيا
وإذا سهر الملك نام الشعب في راحة فقد أمن المزعجات من الليالي :

وقد سهرت فنام الشعب في دعة وخاف من كان منه الشر مرتقبا
ولعل من الملائم في هذه المناسبة ان اورد هنا نبذة من حديث أفضل به الملك عبد
العزيز في مؤتمر عقده بالقصر الملكي بمكة المكرمة بضحوه احد الأيام بمناسبة احماده لفتنة
كادت تشتعل ، قال الملك عبد العزيز - وكان كاتب هذه الحروف احد الحاضرين حيث
كنت اشغل رئاسة تحرير جريدة ام القرى الشبيهة بالرسمية آنذاك : (انكم تنامون ملء
عيونكم مرتاحين سنعاء ، وأما أنا فوالله ثم والله اني لأبيت على فراشي سهران لا يغمض
لي جفنٌ في سبيل المحافظة على أمنكم وراحتكم وانتي لذلك مجهد ، والله ثم والله إن
تأسيس الملك على ما فيه من متاعب كبيرة أهون من المحافظة عليه ..

عود على بدء :

ويكمل فؤاد الخطيب اطار الصورة التي رسمتها ريشته فيقول بعد البيت المتقدم :
وكاد يمسك حتى الذئب من هلع عن العواء ، ويخشي البوم لونهبا
وأوشكت تأمن الأحلام مزعجة عين تنام وكانت لم تنم رهبا
ويتأدى الشاعر في التقاط الصور الناطقة بالمجد الاثيل والملك الثابت الأساس الذي
شاده عبد العزيز فيقول :

وانت مهدت للحجاج موطنهم في البحر لا خطر يخشون أو عطباً
تصونهم فيه أبراج موطدة من المراقب أعيت لجه اللجبا

ويعضي في تصويره لمآثر الملك من هذه الناحية فيقول :

سل الخلائف من عرب ومن عجم عن « الخلافة » في العهد الذي ذهب
تجبي المكوس وما أغنت جبايتها عن الحجيج ، وما درت لهم سلبا
فجئت تنسخ منها كل ما فرضت وَقَرَّ للأمن حل كان مضطربا
وما اكرثت لأموال رُزئت بها وقمت بالعبء عند الله محتسبا
ويتأدى الشاعر في تصوير استتباب الأمن الاقتصادي للبلاد بمجهودات الملك عبد
العزيز فيقول :

ومن قطار المطايا اعتضت متخذاً من الحديد قطارا ما اشتكى نصبا
سخرت كل عصي منه ممتنع فكان أيمن ما ترجوه منقلبا
ومكرمة اقتصادية اخرى اهم واعم فائدة للبلاد أجرتُها ألا وهي استخراج : الذهب
الأسود من اعماق أرض البلاد ، فعم خير هذا النبع المستنبط ، البلاد ...
قال فؤاد :

تلك « المنايع » لم تَسْنَحْ ولا انبجست حتى ملكتَ فَسَحَّتْ سائلا ذهباً
والأرض تُثَبَّتُ فيها « التبر » تُرَبَّتُها وقد تكون وليست تثبت العسبا

« رأيته »

والماء عماد الحياة وعمودها الفقري : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وكما تفتقت
الأرض لعبد العزيز عن الذهب الأسود بشرقي المملكة كذلك انبجست له المياه العذبة في
غربها : وشاهدُ هذا قائمٌ في مدينة جدَّة التي اجري اليها جلالته مياها عذبة ثرة استقدمها
بجم الأموال من وادي فاطمة الواقع على مسافة ستين كيلومترا من مدينة جدة ..
هذا وقد نظم الشاعر فؤاد الخطيب في المشروع المائي الحني ، قصيدة مستقلة تعتبر
بحق احدى فرائده ، قال في مطلعها :

سل الدار والأجيال هل طلع الفجر على مثل هذا اليوم أو حَدَّثَ الذكر؟
وقد سجل التاريخ للجود آية تنافس في تخليدها الشعر والنثر
فهتئت يا « عبدالعزیز » فإنها يد لك عند الله في بذلها الأجر

ويخصص بعد تعميم فيقول :

بللت غليل الناس بعد تشوف
وكم دولة مرت بهم بعد دولة
وتلك الأنايب الموائل حجة
ويوم غد في كل نبت وزهرة
وقد قال ذاك الماء للبحر مؤمناً :
لئن كنت نزر الورد للناس حقة
ألا ما أروع الوصف ، وما أبدع الاستنباط :

وَجُدَّةٌ ثَغْرٌ لِلحِجَازِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَسْمِ إِلَّا بَعْدَ نَائِكَ الثَّغْرِ
ان استنباط المعاني الأدبية وابتكارها لا يقل أهمية عن الاستنباطات والاختراعات
العلمية بل ربما يكون استنباط المعاني الأدبية أدق وأمتع لروح الحضارة وذلك لأن
« الكلمة » هي أساس الحضارة والعلم ونبراسها .. ولولا « الكلمة » ما عرف علم
ولا كان استنباط علمي . وفؤاد الخطيب - على هذا - يصح أن يطلق عليه لقب « مخترع »
و (مستنبط) لأنه يغوص على درر المعاني في الأعماق فيستخرجها ويصوغها في قوالب
شعره جواهر وهاجة الشعاع ، للقلوب والأسماع .

« ميميته »

عندما انتقل الملك عبدالعزيز إلى رحمة ربه في ضحوة اليوم الثاني من شهر ربيع
الأول عام ١٣٧٣ هـ تتابع وفود الشعراء في رثاء جلالته ينعونه بقلوب مكلومة أسأل دموعها
الحزن الممض للحادث الفاجع الأليم ، ويتحدثون عن شخصيته الفذة ، وفتوحاته ،
ومشروعاته وبطولته وكرمه ، وإنسانيته ، وساحته ، وكان في طليعة هؤلاء المتحدثين شاعر
العرب فؤاد الخطيب . وقد أبرز فؤاد مكنون فؤاده من الأسى الذي يقض جوانحه ، حزناً
على بطل الجزيرة ، بطل الإسلام الذي ووري التراب بعد أن شاد للجزيرة مجداً باذخاً ،
وللعرب كرامة شماء ، وللإسلام رونقاً جذاباً ، فقال ميميته التي جعل مستهلها :
هي الجزيرة فيها الصيحة العممُ فهل هو الحشر أم أشرطه أممُ

وكيف أملك حق النطق من جزع «عبدالعزیز» ویاللہول من نبیا
إنی لینطق عنی وحده الألم ما كان یحمد إلا عنده الصمم
بعد هذه الفاتحة المفجوعة یقول :

تبکی الدیار علی حامی الذمار وما للعرب صبر، ولا الأوجاع تنحسم
أودی وكلُ حمی من أرضهم حرم وكل أشهرهم فی ظلہ حرم
وهذا المعنی أن لم یکن مبتکراً فهو علی الأقل من الروعة وجمال الأداء بمكان عال .
یقول فواد : أن الملك عبدالعزیز ذهب إلى رحمة ربه بعد ماشاد صروح الأمن فی داخل
بلادہ ، وبعدهما شاد صروح الاكبار لبلادہ فی العالم خارج بلادہ . ولا تسل عن جمال
الجناس اللفظی غیر المتكلف المائل فی كلمتی : (حرم) بفتح الحاء والراء - و « حرم »
بضم الحاء والراء .

ویتمثل الشاعر ذلك الهرم الضخم الذي بناه عبدالعزیز مجداً شامخاً فی الذری للعرب ،
ونجماً هادياً للسائرین منهم صوب التقدم والحياة الکریمة بعد أن كانوا مووءیدین فی أعماق
مصارعهم ، وبعد أن كانوا أوزاعاً مشتتین لا تربط بینهم رابطة ولا تقوم لهم قائمة ..
یقول :

والباعث العرب من أعماق مصرعهم والجامع الشمل منهم وهو منفصم
ویبدولنا أن هذا المعنی البدیع المستند علی رکیزة من الواقع الملموس قد ورد منهله
الفیاض ثانیة من شعراء هذا البحث .. وهم :

أولاً : أحمد بن إبراهیم الغزای فی قوله :
إمام الهدی لازلت للیدین موئلا یعز بك الإسلام والعرب والحمی

ثانیاً : عبدالمحسن الکاظمی إذ یقول مخاطباً عبدالعزیز :
ان تک فی (الریاض) أو فی (حائل) أو فی « أخذ »
فأنت للعرب حمی وأنت للعرب سند
ثالثاً : أحمد فتحي إذ یقول :

وجعت أشتات القلوب علی الهدی فتجمعت من حولك الأعلام

رابعاً : نظر أحمد السهسواني إذ يقول :

إمام رعى لله أمر عباده فعاش الورى فى عهده أوسع الرغد

خامساً : على أحمد باكثر إذ يقول :

عبدالعزيز كبير العرب أنت لها ضاقت بنا الحال واشتدت بنا الكرب

سادساً : خير الدين الزركلى إذ يقول :

دعا فأجابته الجموع فقادها إذا الملك لم يجمع شتاتاً ولم يُرزق
فوجد أشتاتاً وقام بأحلاف سبيلاً ، تداعى أوسقى ركنه سافر

ويقول أيضاً فى نفس المعنى :

ضم القلوب موحداً أشتاتها لله ثم لشعبه التوحيد

سابعاً : على بن محمد السنوسى إذ يقول :

(صقر الجزيرة) من القت أزمتهأ إليه أقيالها والصارم الذكُر

ثامناً : محمد بن على السنوسى إذ يقول :

وثنت جيدها العروبة واستندت رتُ بعرش للنجم عنه انقطاع

فؤاد شاكر

فؤاد شاكر، شاعر ونائر، مارس الصحافة أول من مارسها من أبناء هذه البلاد، فرأس تحرير جريدة أم القرى وجريدة صوت الحجاز، في أوائل من رأس تحريرها، وألف (رحلة الربيع) و (وحي الفؤاد) وهوديان شعره الضخم الذي إذا غربل وجد في محيطه درثمين من تاريخ هذه البلاد وتطورها، وله (حَيَّ علي الصلاة) .. رواية شعرية إسلامية نشرها بِأخرقٍ .. وله غير ذلك (أدب القرآن) وهو من أقدم مؤلفاته وأنفسها .
وقد حفلت أم القرى وصوت الحجاز والبلاد السعودية بشعره في الملك عبدالعزيز .

« قافيته »

لأنَّ منهجنا في هذا البحث .. أن نقصره على بعض القصائد التي نختارها للشاعرتين
نقوم بعرض نماذج وقطعٍ منها ونقوم بشيء من تحليلها .. فاننا سنسير مع فؤاد ، على هذا المنهج . وقصيدته (القَافِيَةُ) القَافِيَةُ التي نَظَمَها في ٤ شوال ١٣٦٩ هـ بمناسبة ذكرى مرور خمسين عاماً على دخول الملك عبدالعزيز لمدينة الرياض فاتحاً ، كانت قصيدة ممتازة .. وقد نشرتها له كل من جريدة الأهرام ومجلة الإذاعة المصريتين .. يقول في مطلعها :

تألق عيد الفطير، بالبشر يخفق فوافاه عيد بابتهاجك يشرق
أجل إن عيد الله للناس بهجة تلاقى به من يوم عيدك رونق
ثم يقول في تقويم الخميس حجة ، وفي أثرها البارز في تكوين الأمة العربية السعودية والمجتمع العربي السعودي :

أجل إنها في الله خمسون حجة يكاد لها التاريخ يندى ويورق
قضيت لياليها الطيِّوال مجاهداً تسابقتها بالرأي قديماً فتسبق

إلى أن يقول :

وأرسيّتَ في أرض الجزيرة أمةً موحدة الإيمان لا تتفرق
ويقول في مقارنته للأهوال بغية الوصول إلى إنقاذ هذه الأمة من الفوضى والاضطراب
وتوحيد شملها المبدد ، وتحقيق اتجاهها إلى التطور الحميد بدلاً من تبيد الجهود فيما
لا يفيد :

طَرَقَتْ من البيداء كل مفازة بها الهول مبسوط الجناحين محقق
وسابقتها بالحزم والعزم عنوةً فكانت إلى العلياء خطوك تسبق
ويختتم هذه الأوصاف اليبانة بحكمة هي مثل (القفل) الذي تُوصدُّ به أبواب
(الكنوز) الثمينة حتى لا تتبدد :

ومن كبرت هماته عن مراده يطوف بأفاق العلا ويحلق
وهكذا يزامل فؤاد شاكر شعراء الملك عبدالعزيز في اقتطاف الحكمة وإداعها لبيت
كامل من قصيدة ويصل إلى بيت القصيدة حين يقول :

فلما استقر الأمر وانجاب داكن من الهول يطفو بالخطوب ويغسق
أفءاء عليك الله نُعمى سلامةً وعيشاً بأقنان المسرة يفهق
ويتجاوز ذلك إلى عرض ماتكنه (أمة العرب) لجلالته في شغاف قلوبها من ود ومحبة
عميقة فيقول :

لقد محضتكَ الحب أمة يعرب فلا قلب إلا وهو نحوك شيق
وأدت حقوقاً للولاء جليلة تسامت فلا يدنو إليها محلق
كأن صبا نجد إذا فاح عرفه أهازيجهما بالحب تشدو وتنطق

والبيت الأخير يعتبر من جيد فنون الشعر العربي .. وذلك أنه قدم لنا تشبيهاً جميلاً
متكاملاً ، احتل أبعاده كلها .. وهذا اللون من التشبيهات مما أخذ به الشعراء العرب ، من
قديم ومن حديث ، فأمر الشعراء القديم امرؤ القيس يقول في معلقته :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدي وكرها العناب والحشف البالي

والمتنبي الذي ظل أميراً للشعر العربي منذ ألف عام يقول في سِمطٍ من التشبيهات
البديعية :

كالبدْر من حيث التفت رأيتَه يهْدِي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرها جوداً ويبعث للبعيد سحائباً
ولا يغفل الشاعر، المنن الجسم التي اسداها الملك عبدالعزيز للعالم الإسلامي بعد
إيراده لمنن بارزة من برنامج اصلاحاته في داخل مملكته :

بسّطت لواء الأمن كالظل وارفاً فأصبح ممدود الرواقين يطبق
والأمن الشامل هو نعمة النعم التي رفل في حللها الفضفاضة ونعم في بحبوحتها
الواسعة الشعب العربي السعودي بعد امتلاك عبد العزيز لأزمة الأمور في هذه البلاد : شرقها
وغربها وجنوبها وشمالها .. وهذا الأمن الذي يغمر البلاد في كل مكان هو (القاعدة) الأساسية
لتقدمها .. وتطورها .. فلا مكان لتقدم أو لتطور في بلاد مضطربة ، ولا سعادة ولا هناء
لشعب تضطرب حياته في أمواج هائلة من القلاقل والفتن . وقد ذاقَت هذه البلاد قبل عهد
ابن سعود أهوال هذه الفوضى وكانت كلما تقدمت الأيام والأعوام بالأمم شوطاً تأخرت هي
أشواطاً ، حتى تكاد تكون مجموعة (أصفار) .. فاختلال الأمن في البلاد هو الأساس
الذي يحطم كيانها ، وسيادة الأمن في البلاد هي التي تنقذها وترفع مستواها وتجعلها في
منجاة من النكبات والنكسات .. وعلى هذه القاعدة الواقعية فان انتشار ظلال الأمن
بجهود عبدالعزيز وجهاده وتقليصه الاضطرابات والفتن حتى أصبحت صفراً على الشمال
هو الذي هيا الله به هذه البلاد هذه النعمة الكبرى التي تتمتع بها . ويُقدّر الأمن الشامل
المنتشر في أرجاء البلاد ، من شهدوا من الأحياء عصر الفوضى البائدة ، ثم شاهدوا بعده
عصر الأمن السائد ، والاستقرار السائد بعد ذلك العصر البائد ..

يقول فؤاد شاكر :

بسّطت لواء الأمن كالظل وارفاً فأصبح ممدود الرواقين يطبق
وشيدت للعدن الصروح مشيدة تناطح أعنان السماء وتسمق
ووطدت للتوحيد صرحاً ممدداً باعلاء دين الله يُزهى ويورق
فكم مسلم أدى الفريضة آمناً وقد كان منها قبل عهدك يشفق

وكم طاعم قد كان غرثان صاديا يطول به هم من الليل مقلق
وكم عثرة لم يدر كيف يقيلها أخونجدة ، كادت لها النفس تزهق
أطلت عليهم من نذاك مبرة مع الصبح كالفجر الذي هو يصدق
ففي كل دار من أياديك منة وفي كل بيت منك جيد مطوق
فكانت أياديك الرحيمة بلسها يداوي جراحات النفوس ويرفق

وإذا أدركنا أن هذه القصيدة من إنتاج ما بعد الحرب العالمية الثانية فحينئذ ندرک
السبب الذي دعاه للاشادة بمبرة الملك عبدالعزيز الشاملة في أيام تلك الحرب الضروس
وهي المنة التي أمنت بها أبناء البلاد غوائل الجوع الكارث الذي عم الأنام في تلك الأيام .
وثمة مبرة أخرى أعظم شأنًا ألا وهي تجنب الملك عبدالعزيز لبلاده ويلات تلك الحرب
التي ما كانت تبقى ولا كانت تذر ، كانت (الميرتان الملكيتان) بمثابة ركيزة عظيمة لحياة
الشعب عامة ، فسعد الشعب بها ، وأجتاز ظروف الحرب القاسية المريرة في أمان وسلام ..
ومن الجدير بالذكر أن شعراء الملك عبدالعزيز فيما بعد الحرب العالمية الثانية قد طرّقوا
حديث المبرة الملكية فوصفوها بأبجد الصفات ، لأنها كانت منقذة وحفية بالرخاء العام .

فأحمد فتحي يقول في (ميميته) :

وصمّدتَ للدينا بمقلة راصِدٍ خَطَوَاتِهَا وَالْعَالَمُونَ نِيَامُ
فوقيتَ شعبك كل خطب فاجع شرب الشعوب براحتيه وهاموا
ومحمد بن أحمد العقيلي يقول في (ميميته) أيضاً :

جنبتَ شعبك منها كل كارثة بالله ثم برأي منك يعتصم
فليشكر الله شعب بات مغتبطاً في نعمة منك تبديها وتختتم
ومحمد بن علي السنوسي يقول في قصيدة (قَافِيَةٌ) الْقَافِيَةُ :

مِتَحُ «بساط الريح» منها موكب ونُدَى ، رصيف البحر منها مرفق
ويقول في قصيدة (ميمية) أخرى :

عمت أياديك أهل الحضر واكتفت أقصى البوادي بجود دونه الديم
منك «المبرات» تترى لا يحيط بها عصر ويعجز عن احصائها القلم
فنحن في نعمة عظمي نُحَوِّطُهَا بالشكر لله ، والالاءُ تزدهم

فارس سعد

أحد شعراء لبنان المبرزين ، شعره في قوة شعر الأخطل الصغير وفي روعته تقريباً
إلا أن هذا الشاعر مقل وقد ألف الانطواء في دارته برأس المتن^(١) وقد أخذ بنصيب وافر
من فلسفة تجنب الأضواء ..
له ديوان شعر سماه (طوفان النور) وهو ملحمة في اثني عشر نشيداً .

« ميميته »

نشرت له مجلة المنهل فيما نشرت قصيدة قالها قديماً في « الملك عبدالعزيز » وبعث بها
إلى جلالته في حياته رحمه الله .. وقد طويت في قماطه كدأبه في أغلب شعره حتي سلمها
لكاتب هذه السطور لينشرها في المنهل ، فنشرناها له فيه . يقول في مطلعها :

هكذا الملك عزيمة واقتحام وعلا تبتنى ومجد يقام
أما سادة الزمان ملوك لرعاياهمو، هم خدام
ملكوا الأرض عزة لا اقتناء اطعموها للأكلين وصاموا
بيديهم كنوزها، وحلاهم إن تحلوا، عباءة وحسام
خلفوا الرسل: رقة في جلال وعفاف يحفه الإقدام

ويبدو جلياً أن مطلع القصيدة الممثل في الأبيات الخمسة السابق ذكرها هو من صميم
الشعر الحديث في معناه وفي مغزاه ، فهو قد بدأ قصيدته مراعيماً ملاءمة المطع لموضوعها
الذي نظمت فيه ، ليكون لها بمثابة المقدمة ، ولكنها مقدمة متجاذبة مع موضوع

١ - رأس المتن أحدى ضواحي بيروت العالية الجميلة المحفوفة بغابات الصنوبر التي تمتطها في الجبال والرهاد .

القصيدة .. وصنيعه في هذه التقدمة هو نفس صنيع أضرابه من شعراء العرب المعاصرين الذين حللنا بعض مطالع قصائدهم الجيدة الحديثة في الملك عبدالعزيز في هذا البحث . وبعد ذلك نرى فارس سعد يهجم على الموضوع الذي نظم فيه قصيدته فيقول :

جل عبدالعزيز في الشرق ملكاً يتعالي بعزه الإسلام
موئل الحق والعروبة ، يآبى أين كانوا ، لأهلها أن يضاموا
باسط ظله على العرب طراً فهم في حماه حيث أقاموا
ولا بد من وقفة قصيرة عند البيت الأخير :

باسط ظله على العرب طرا فهمو في حماه حيث أقاموا
وذلك أنه يلوح لي فيما يلوح أن الشاعر قد تفرد بهذا المعنى بين نظرائه ، الذين أوردنا بعض إنتاجهم الشعري في الملك عبدالعزيز ..

وكلهم طرقتوا هذا المعنى الفذ من ناحية جانبية ولم يتعمقوا فيه هذا العمق الذي توصلت إليه قريحة فارس سعد الفياضة التي تستمد عيون شعرها من معين يفيض من ينابيع ثرة شديدة العذوبة .. فالملك عبد العزيز في الجزيرة العربية باسط ظله على جميع العرب في سائر الأقطار وهم في حماه في أي قطر كانوا ..

علم واحد وعرش عزيز فعلام العروش والأعلام ؟
هذه دعوة صارخة قام بها الشاعر فارس سعد .. يكفي العرب جميعاً أن يرفرف عليهم علم واحد هو علم التوحيد ، علم المملكة العربية السعودية ، علم الملك ابن سعود ، في أرض الجدود ، ومهد العرب والإسلام الممدود .

ملك أخلى الزمان ليحو به فضاقت عن مجده الأيام
ملأ الشرق عرشه الضخم حتى كل طير على الفضاء حمام
دمث الوعر فالقفار رياض من أياديه ، والصخور رخام

وهكذا نرى الشاعر يفيض بكارم ابن سعود التي جاد بها فكانت مكارم خالدة :
شرد البؤس فهو أين تواري عنه يقتص أثره الأنعام
ابدا من يمينه للعطايا هجمات وللرزايا انهزام
زجر الدهر عن بنيه نداه فتولته رعشة واحتشام

مثل بيض السيوف بيض الأيادي من يديه قتلها الأعدام
سلّ بالرفق مخلب البغي حتى كل طير على الفضاء حمام
واستوى العدل فالخيام قصور يتعالين، والقصور خيام
وهنا يتجه الشاعر إلى ما يكنه عبدالعزيز بن سعود للعرب من اتهامات يسعد بها
العرب ويرتقون .. وقد أخذ الشاعر هذا المعنى من خلال أقوال عبدالعزيز، وأفعاله
النيرات المبشرة بالنهضة العميمة كالذوحة الوارفة الظلال، فقال :
ايه عبدالعزيز للشرق وجه أنت فيه تألق وابتسام
سعدت أمة وعزت بلاد لها فيك منقذ وإمام^(١)

١ - نشرت بمجلة المنهل في عددها الصادر في شهر رمضان ١٣٩٣ هـ أكتوبر ١٩٧٣ م وهي بمكتبي بخط الشاعر العتيق الجميل وبتوقيعه أيضاً .

محمد أحمد العقيلي

ربما كان المنطلق الذي أنطلقت منه شاعرية محمد بن علي السنوسي هو الذي أنطلقت منه شاعرية محمد أحمد بن عيسى العقيلي .
وقد أشترك العقيلي مع السنوسي في إصدار ديوان «شعراء الجنوب» وهو مجموعة شعر أربعة شعراء في جازان . وللعقيلي ديوان سباه : (الأنغام المضيئة) .

« ميميته »

للعقيلي قصيدة ميمية ، تبدو فيها شاعريته خصبة متفتحة .

يقول في ميميته المشار إليها لعبد العزيز :

وأنت في موقف تثنى العصور بما وقفته وحباء رحمت تلتزم
جنبت شعبك منها كل كارثة بالله ثم برأي منك يعتصم
فليشكر الله شعب بات مغتبطاً في نعمة منك تبديها وتختتم^(١)
ويصف لنا العقيلي شعوره بأهوال الحرب العالمية الثانية وهو في فجر جازان فيقول عن آثارها :

فأربدجو بلاد الشرق وأنطلقت في أفقه بارقات الشر تضطرم
وأغلقت سبل الأقوات وأندلعت نار المجاعات للأرواح تلتهم
ولا نريد أن نعيد ما قلناه مراراً حول طروق شعراء الملك عبد العزيز فيما بعد الحرب العالمية الثانية حديث الأثر الباهر في حياة الشعب السعودي الرغيدة بسبب توزيع (المبرة) التي جادت بها مكارم الملك في تلك الأزمة الخائفة ..

١ - نشرت في (ديوان شعراء الجنوب) ولم ترد في ديوان الشاعر (الأنغام المضيئة) .

ولكننا نستمر في متابعة تصوير إحساس الشاعر العقيلي بأهمية المبرة الملكية لحياة الأمة السعودية ، وأثرها الفعلي المباشر في رخائهم ، وإن كان في ذلك بعض التكرار ، أنسياقا مع مقتضى سياق البحث ... يقول :

عمت أياديك أهل الحضر وأكتنفت
منك المبرات تترى لا يحيط بها
فحنن في نعمة عظمي نحوها
أقصى البوادي بجود ، دونه الديم
عصر ، ويعجز عن أحصائها القلم
بالشكر لله والآلاء تزدهم

« عينيته »

وللعقيلي قصيدة عينية ، ضمنها مشاعره نحو الملك عبد العزيز ... وكان نظمها والقائما بين يدي أمير جازان في عيد الأضحى من سنة ١٣٦١هـ بمناسبة الرحلة الملكية البحرية صوب القطر المصري ، بدعوة من روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا ، ورحى الحرب دائرة ، تطحن العباد والبلاد في العالم ماعدا البلاد العربية السعودية فقد نجاها الله بحكمة مليكها وحسن سياسته الحيادية من أهوال هذه الحرب الفتاكة بالأنسان والحيوان وال عمران ، والمלתمة للأخضر واليابس ، يقول العقيلي :

دعاك أقطاب أبطال السياسة في
جمع لأعلى أساطين العلا جمعا
ويمضي في وصفه وتصويراته إلى أن يقول :

حتى تجليت في أفق البحيرة للرا
فأستقبلوا فيك شخص الضاد ممتلا
وعاهلا تشرق الدنيا بطلعته
وأكبروا فيك ليثا في الجزيرة لم
ئين بداراً بسيا الملك مدرعا
بل قدوة الشرق آراء ومطلعا
ومصلحا يعجز الأجيال ماخضعا
يزل على قدرة بالعهد مضطلعا^(١)

١ - نشرت في (ديوان شعراء الجنوب) ولم ترد في ديوان الشاعر (الانعام المضيئة) .

« عينية أخرى »

وللعقيلي قصيدة عينية أخرى حيا بها الملك عبد العزيز، وجاء في مقدمتها أنها «أشدت» في المهرجان العظيم بمناسبة قدوم جلالة الملك المعظم من مصر في ٢٣ - ٢ - ١٣٦٥هـ وقد صور فيها الشاعر، مظاهر فرحة الشعب بآياب والده ومليكه من هذه الرحلة البحرية المهمة ... قال :

تباروا لأعلان الشعور وبرهنوا لاظهار ماجنت عليه الأضالع
مباهج قامت في الخواضر وأزدهت بها اليبس وأزدانت بهن المجامع
ويعرج على وقائع الرحلة بالنسبة لأهل البلاد التي ارتحل إليها جلالته فيقول :
لقد شرفّت مصرًا زيارتُك التي يخلدها التاريخ والذكر نافع
وسرت على يخت كساه مهابة جلالك قد حفت علاك الدوارع
وهذه الرحلة كان عباس محمود العقاد في صحبة الملك عبد العزيز فيها ... وقد نظم قصيدة همزية القافية تفلسف فيها في أمتطاء الملك عبد العزيز للبحر فلسفة شعرية أخاذة .. وهاهو ذا الشاعر محمد أحمد العقيلي يشاطره القول الشعري في هذه الرحلة ويصف هو أيضا ركوب الملك للبحر في اليخت الملكي الذي كان يقله .
ويذكرني مطلع قصيدة العقاد :

أسد العرين يخوض غيل الماء يابحر راضك قاهر الصحراء
يذكرني بمطلع قصيدة أحمد قنديل في دخول ماء العين العزيزية لجدة إذ يقول فيه :
تهاد على اسم الله ياماءنا غمراً وسبح بحمد الله ياماءنا شكراً

« نونيته »

وللعقيلي قصيدة (نونية) في مناسبة صدور أمر الملك عبد العزيز بالغاء رسوم الحج على حجاج بيت الله الحرام ، وهذه المكرمة هي من مكارم عبد العزيز الخالدة ... وقد جعل العقيلي عنوان قصيدته :

- « إلى جلالة العاهل المفدى بمناسبة الغاء رسوم الحج في عام ١٣٧١هـ » - وعنوانها

المذكور يحمل موضوعها وتاريخ قوله لها : وقد وصف فيها شعور العالم الاسلامي الفياض بعظمة هذه المنة الجديدة التي فتحت أبواب الحج للمسلمين على مصاريعها ، إذ قد رفعت عن عواتقهم كابوسا ثقيلا طالما عانوا منه الامرين ، يقول الشاعر في هذا المعنى :

وأباح الحج لا رسما ولا رهقا يغشى وفود المسلمين
أكبر العالم في «تصريحه» خطة قصر عنها المصلحون
وسرى اليقزق به مؤتلقا يحمل البشري إلى أكرم دين
رددته صحف العالم في نشوة الشاعر بين المعجبين
هز أوتار قلوب وجري «بنسلا» يشفى قروح العابثين
فأقاموا من صلاة الشكر ما يستديم الفضل بين الشاكرين (١)

وهذا وصف جامع لأثر هذه البشري السارة - بشرى الغاء رسوم الحج - في قلوب المسلمين أجمعين ...

١ - نشرت في (ديوان شعراء الجنوب) ولم ترد في ديوان الشاعر (الانغام المضيفة) .

محمد بن بليهد

من رجال الشعر في بلادنا ، وشعره عربي الأسلوب في الوصف والمديح ، وهو وزميله محمد بن عثيمين يتحان في شعرهما من بئر واحدة عذبة غزيرة المنابع . ويبدو أنه ربما كان شعر ابن عثيمين أغزرمادة من شعر ابن بليهد . ولست أدري متى بدأ ابن بليهد قريضه في مدح الملك عبد العزيز ، ومن أقدم ما أطلعت عليه من شعره القصيدة التي نشرت بجريدة أم القرى له في سنة ١٣٤٤هـ ولا بد أن له قصائد في الملك أقدم من قصيدته تلك إذ لا يعقل أن يبلغ شعره ذلك المستوى ما لم يكن له «روافد» سابقة ..

وقد حفلت جريدة أم القرى في الخمسينات من هذا القرن الهجري بقصائد ابن بليهد في الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، وله ديوان شعر مطبوع اسمه : (ابتسامات الأيام) ولم يقدر لي أن أراه حتى الآن ويغلب على الظن أنه في مدائح الملك عبد العزيز ووصف شجاعته وفتوحاته وانتصاراته وأحواله .. وفي أخريات عمر ابن بليهد هجر الشعر والتفت إلى عالم «التاريخ والآثار» في بلاد العرب فأولاهما كل عنايته . وقد أصدر كتاب (صحيح الأخبار) وحقق كتاب (صفة جزيرة العرب) تحقيقاً لم يبلغ الأمل المنشود تماما ، وطبعها على نفقته ... كما نشر مقالات دفاعية عن آرائه في التاريخ والآثار في بعض الصحف المحلية قديما ، وله في مجلة المنهل بحث مركز عن موقع (عكاظ) .

« عينيته »

نظم ابن بليهد قصيدة « عينية » بمناسبة قدوم الملك عبد العزيز حاجا إلى مكة المكرمة في موسم حج عام ١٣٥٤هـ يقول فيها :

فبشراك يا «أم القرى» «بابن فيصل» وبشراك إذ أب المليك السميذع

وكلمة (ابن فيصل) قد اشترك معه في ايرادها شعره ، محمد بن عثيمين الذي قال في (لاميته) المنظومة بعد عام واحد من نظم (عينية) ابن بليهد هذه ، وهي من بحر الطويل أيضا ، قال ابن عثيمين :

بأن إمام المسلمين «ابن فيصل» هو القائم الهادي بما هو فاصله
وهذا التوافق حتي في الصيغ والعبارات المعينة هو أمر ، يدل دلالة واضحة على مدى تقارب تفكير الشعاعين وتلاحم أسلوبيهما . ولعله مما يميظ لنا اللثام عن تداخل منابع شعرهما - كما ألعنا إليه أنفا ، إن هذا التوافق لا يعدو أن يكون من باب «توارد الخواطر» فالمعاني العامة كثيراً ما تتوارد فيها خواطر الشعراء . ويعطينا ابن بليهد صورة كاملة لمزايا حكم ابن سعود في مكة المكرمة :

وكانت به «أم القرى» مطمئنة بأمن وأهلوها سجدود وركع
كأن عليها حُلَّة «عبقرية» تناط بأركان «أم صبح»^(١) وترفع
وأصبح باديها مقما بنعمة بعيش أنيق ، والسوائم رُتَّع
جماها من الأعداء من كل جانب وأمتها ، والسيف بالسيف يقرع^(٢)

وكل من يقارن بين «لامية» ابن عثيمين ، و«عينية» ابن بليهد يجد أن الشعاعين في الشعر فرسا رهان ، يدل على ذلك تشابه في معاني شعرهما وأساليبيهما ومناهجهما . ومعنى ذلك أن طائري شعرهما يطيران في جو واحد ، ويتغذيان ، من مادة واحدة ، ويتزنان بلحن واحد .

« بأئيته »

ومن قَبْلِ تَشْرِئِ ابن بليهد «لعينيته» بشهر واحد نشرت له جريدة أم القرى «بأئيته» بشهر شوال ١٣٤٥ وعنوانها : «أعلل نفسي» ... يقول فيها .

١ - أم صبح من أسماء مكة المكرمة .. وقد وصل الشاعر همزتها المقطوعة ، وذلك من ضرورات الشعر ، وللضرورة أحكام .

٢ - نشرت هذه القصيدة بالعدد الصادر في ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٥هـ (٢٧) مايو ١٩٢٧م من جريدة أم القرى التي لاتزال تصدر بمكة المكرمة ، وقد صدر أول عدد منها في يوم الجمعة ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ - الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م .

فهل قادم طافت بنجد مطيه يسكن أشجان الفؤاد المعذب
يبلغنا الأخبار عن أهل منزل أقاموا به بين الحجون وكبكب
وجاء في هامش البيت الأخير : (أن المنزل الذي بين الحجون وكبكب يراد به المنزل
الذي يسكنه جلاله الملك في المعابدة) .

« داليتة »

وهذه قصيدة أخرى دَالِيَّةٌ لابن بليهد ، وهي من بحر البسيط ، وكان ابن بليهد قد
نظم هذه القصيدة بمناسبة أيا ب سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز «جلالة الملك حاليا»
من إحدى رحلاته العالمية في عام ١٣٤٤هـ - ١٩٣٥م يقول ابن بليهد في مطلع الدالية
مخاطبا الملك عبد العزيز :

لنجلك السعد قبل اليوم مشهود وفي لواء أطيء العز معقود
ثم يقول له :

يا أيها الملك السامي لقد بلغت هياتك المجد لما أستصعب الجود
فإن أمرت رجال الحرب ، طائعة وأن وعدت ، فما تخفى المواعيد

بحث ونتائج :

هذا وقد بحثت عن ترجمة كاملة للشاعر الناثر المؤرخ محمد بن بليهد فلم أجد له
ترجمة في كتابه المطبوع مرتين : « صحيح الأخبار » ولا في الكتاب الذي حققه وطبعه «صفة
جزيرة العرب» . ولا في (قاموس الأعلام) لخير الدين الزركلي ولا في المجموعة التي الفت
حديثا عن شعراء نجد : (شعراء نجد المعاصرون) .. وقد ذكر ترجمته موجزة نقلا عن مجلة
الأديب اللبنانية - عمر رضا كحالة في (كتابه معجم المؤلفين) .. وذكر أن وفاته كانت سنة
١٣٨٧هـ - ١٩٥٨م وأن له كتابا اسمه (ابتسام) ... وبمراجعتي للعدد الذي استند إليه
معجم المؤلفين من مجلة الأديب اللبنانية وجدت فيه هذا النص : (توفي في السعودية محمد
بن بليهد مؤلف كتاب (صحيح الأخبار) و (ابتسامات الأيام) . ومصحح كتاب (صفة

جزيرة العرب) للهمداني^(١) وصيغة الهمداني بالذال المعجمة هنا هي أما غلط مطبعي أو سهو، وتسمية عمر رضا كحالة لديوان ابن بليهد باسم (ابتسام) لا تخلو من قصور فاسمه (ابتسامات الأيام) وقد جاء في كتاب (شبه جزيرة العرب) لخير الدين الزركلي مانصه : (ويقول محمد بن عبد الله بن بليهد . من أهل «ذات غسل») إحدى قرى الوشم ، من قبيلة بني خالد :

يدني ديار الأعادي وهي قاصية والقوم منه وأن شطوا على حذر
رست بعزمته أركان مملكة بني قواعدها بالبيض والسمر
والأعوجيات مرخاة أعنتها تستن في فلوات السهل والوعر^(٢)

والممدوح بهذه الأبيات هو الملك عبد العزيز لانطباق الأوصاف على جلالته ... كما ورد اسم ابن بليهد ضمن أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين ، في كتاب (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) لأمين بكرى الشيخ في عشرة مواضع ، ولكنه وورد عابر غير مشبع للباحث المستطلع للترجمة الكاملة لهذا الشاعر النائر المؤرخ الجوال في آفاق بلاد الجزيرة ليحقق بالمشاهدة مواقعها ويطبق أماكنها المشاهدة على ماورد في الشعر العربي القديم ... وهو في الحقيقة فتح علمي ، كان ابن بليهد من السابقين في ميدانه ..

١ - مجلة الأديب الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة المجلد (٣٢) الصادر في شهر أبريل ١٩٥٨م ص ٧٨

٢ - ص ٦٨٠ بيروت

محمد بن عثيمين

أحد الشعراء المعروفين في هذه البلاد .. في شعره جزالة ، وبلاغة عربية خالصة ، وفيه خيال وتصويرات عربية نقية نمت إلى شعر الجاهلية وشعر صدر الإسلام بصلة وثيقة .. وذلك أن ثقافته عربية اسلامية ، وماهضمه من الشعر في شبابه ورجولته وكهولته فهو شعر عربي قديم .

ولد عام ١٢٧٠هـ في بلدة السلمية من أعمال الخرج بجنوب مدينة الرياض . وتعلم في البلدة التي ولد بها مبادئ القراءة والكتابة ، وكان ذلك في عهد لا أثر فيه لوسائل التعليم الحديث ^(١) وطلب العلم على المشايخ : عبدالله بن محمد الخرجي ، وأحمد الرحباني ، ومحمد بن مانع في قطر ، وسعد بن حمد بن عتيق في بلدة (العماز) من أقليم الأفلاج بنجد ، وارتحل مع شيخه الخرجي إلى سواحل الخليج العربي ، وتنقل في ربوعها ، ثم ألقى عصا التسيار في قطر . وأتصل فيها بآل ثاني ، واتصل بآل خليفة في البحرين ، وتعاطى التجارة .

وعندما استولى الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله على اقليم الأحساء سنة ١٣٣١هـ وهناك بقصيدته البائية ، شمله عبد العزيز من يومئذ برعايته ، وكان كثير الوفود عليه فيما بعد ، وكان يُلقب بين يديه قصادته في مديحه ، فيجيزه ويجزل له العطاء ، وقد جاوز عمره الثمانين سنة . وعندما بلغ الخمسة والثمانين عاما هجر الشعر ، وتفرغ للعبادة . وفي ٨ ذي الحجة ١٣٦٣هـ أدركته الوفاة وله من العمر ثلاثة وتسعون عاما .

هذا ملخص حياة هذا الشاعر ، أقتطفناه من مقدمة ديوانه (العقد الثمين) الذي جمعه وطبعه سعد بن عبد العزيز بن رويشد .

١ - مقدمة ديوانه

أقدمُ قصائدِ ديوانه تاريخًا ، هي بآيته التي نظمها وهنأ بها الأمام عبد العزيز
باستيلائه على الأحساء والقطيف في شهر جمادي الأولى ١٣٣١هـ .. يقول عنه فيها :
ذاك الأمام الذي كادت عزائمه تسمو به فوق هام النسر والقطب
«عبد العزيز» الذي ذلت لسطوته شوس الجبابر من عجم ومن عرب
ليث الليوث أخو الهيجا ومسعرها السيد المنجب ابن الساده النجب
ترفرف علي الأبيات الثلاثة المتقدمة روح شعراء العرب القدامى من جاهليين
وأسلاميين فعبارة «ليث الليوث» و«أخو الهيجا» و«مسعرها» كلها نمتُ إلى العصر القديم
بصلة أوثق بكثير مما نمتُ به إلى العصر الحديث .

يقول الشاعر في قوم ابن سعود :

قوم همُ زينة الدنيا وبهجتها وهم لها عمُدٌ ممدودة الطُّبِّ
وبعد التعميم المذكور يخصص فيقول :

لكنَّ شمسَ ملوك الأرض قاطبة عبدُ العزيز بلا مين ولا كذب
ويمضي في وصف أعمال بطولته الخارقة . وفي بطولته يكمن مفتاح شخصيته فهو ..
بطل في البأساء ، بطل في السراء ، بطل في الكرم ، بطل في السياسة ، بطل في الذكاء
واللهاحية . بطل في تصريف الأمور ، بطل في مواجهة الصعاب ومدهمات الأمور ، بطل في
العطف والاحسان ، بطل في فرحه ، بطل في غضبه ، بطل في كل شيء .. يقول محمد بن
عشيمين عنه :

قاد المقانب يكسو الجؤ عثيرها سباء مرتكم من نقع مرتكب
و(المقانب) و(العثير) و(النقع) و(المرتكم) - عبارات يكثر دورانها في الشعر العربي
القديم ، وتكاد تختفي في الشعر العربي الحديث .. وربما كان سبب ذلك ان المقانب تتكون
من الفرسان ، والعثير هو الغبار الذي تثيره سنايك الخيل في المعارك .. والعثير والنقع
كلاهما بمعنى (الغبار) هذه الأشياء أختفت من الوجود في الحروب الحديثة .. وقامت بدلها
حروب الآلات الجهنمية الحديثة ، ومحمد بن عشيمين عاش جُلَّ عمره المديد ، في العهد

الأخير لمعارك الخيل والفرسان بالرغم من وجود الآلات الحديثة فيه كالبندقيات والمدافع وما أشبهه .. ولكن كان ذلك العصر لا يزال حافلاً بألوان البطولة الفردية التي تعتمد على السيف والرمح والبندقية وركوب الخيل عند التلاحم . وبما يدل على هذا المعنى قوله فيما بعد عن معارك عبد العزيز الأولى التي كان للفرسان ممتطي صهوات الخيل فيها مقام معلوم حيال أحرار النصر وهزم الأعداء :

حتى إذا وردت ماء الصراة وقد صارت لواحق أقراب من السغب
قال : النزال لنا في الحرب شنشنة نمشي إليها ولو جئياً على الركب

وقد وصف الشاعر عقب ذلك مباشرة نهوض الأمام عبد العزيز إلى الأحساء واستيلاءه عليها في غزوة ليلية خاطفة كانت أشبه بغزوته الليلية الحاطفة السابقة التي استولى فيها على مدينة الرياض . فقال الشاعر عقب البيت السابق مباشرة :

فسار من نفسه في جففل جرد وسار من جيشه في عسكر لجب
حتى تَسَوَّرَ حيطاننا وأبنية لولا القضاء ، لما أذركن بالسبب
لكنها عزيمة من فاتك بطل حمى بها حوزة الاسلام والحسب
فبيت القوم صرعي خمرونومهم وأخرين سكارى بانبنة العنب
في ليلة شاب قبل الفتح مفرقها لو كان تعقل لم تملك من الرغبة

هذا ولعل ابن عثيمين كان أقدم أو من أقدم الشعراء في بلاط الملك عبد العزيز فان قصيدته هذه كان قد نظمها في الشهر الأخير من النصف الأول من عام ١٣٣١هـ أى قبل نصف قرن ونيف من السنين بالنسبة للعام الحاضر ١٣٩٤هـ .

« داليتة »

وتبضي السنون تباعا وتتطور انتصارات عبد العزيز وتمتد إلى كل ناحية . فها هو ذا يدخل مكة منتصراً في جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ فيُظَلَّ عَلمُ التوحيد : علم دولة آل سعود بلادَ الحجاز .. فإذا بالشاعر ابن عثيمين يُقَدِّمُ إلى الحجاز ، ليُقَدِّمَ تهنئته السنوية التي أعدها إلى الأمام ابن سعود ، على عادته فيما مضى من السنين ، فيما حققه عبد العزيز

من الانتصارات . وما يناسب المقام - وقصيدة التهئة هذه تلقى في مكة المشرفة أمام
الأمم - أن يكون موضوعها إسلاميا عاما . فمكة مصدر دين الإسلام وقبلة المسلمين ،
وبها مولد الرسول المصطفى ﷺ ، ومنها هاجر إلى المدينة المنورة . فالموقف هنا يقتضي
أن يشيع ذكر الإسلام في سائر أجزاء القصيدة ، وأن يُخاطَبَ بها بنو الإسلام لتبيان مزايا
الحكم الإسلامي الجديد . وهذه القصيدة أسلوبها من أرق ما نظم الشاعر ومن أبعده عن
الالفاظ العربية العويصة . يقول فيها مخاطبا بني الإسلام :

لا تحسبوا يا بني الإسلام أن لكم عزا بغير أجتاع الرأي والجلد
خذوا نصيحة من يعنيه أمركم ماظن^(١) منكم بتقريظ ولاصفد^(٢)

وقصيدة ابن عثيمين هذه ليست مدحا عَفَوياً ، فان قارئها ودارسها يدرك أنها ذات
أهداف خيرة مرسومة ... فهي تطفح بدعوة صريحة وصارخة ومحبوكة للعالم الإسلامي لكي
ينضوي تحت علم الوحدة الإسلامية ولكي يلتف حول هذا الامام العادل .

والشاعر يبسط في قصيدته مبررات دعوته ، وهو يمهد لهذه الدعوة بمقدمات منطقية
سديدة وسليمة وبدهية ... يقول :

لا بد من ملجأ للمسلمين له حرية طلاقة من كف مضطهد

وهكذا يبدأ ابن عثيمين عهداً جديداً لشعره وشاعريته فهو يطعم شعره بروح عصره
ويتخلى عن المدح التقليدي الذي سار عليه وسار عليه قبله ومعه شعراء كثيرون حتى أن
صيغ القصيدة وعباراتها تختلف اختلافا واضحا عن زميلاتها السابقة وَقُلْ كذلك في
اهدافها التي تعالجها ..

ويصف طبيعة الحكم الإسلامي السعودي الحر الجديد للعالم الإسلامي بأنها :
تخاصم المعتدي عنهم وتدفعه قولا وفعلا اذا مالج في اللدد

١ - هكذا وردت هذه الكلمة في نسخة (العقد الثمين) المطبوعة بالطاء المشالة ، ويبدو ان صحتها (ماضن) بالضاد .

٢ - (الصفد) : كلمة مهجورة تقريبا في الشعر الحديث ومعناها هنا العطاء ... وقد جاءت بهذا المعنى في شعر النابغة
الذبياني قال :

(هذا الثناء فان تسمع به حسنا فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد)

ويقدم حجته على رأيه فيقول :

وقد سبرنا وطوفنا البلاد فلم
الا على من أتمَّ الله نعمته
عبد العزيز الذي كانت ولايته
وليس من إلقاء القول على عواهنه أن نقول : ان هذه القصيدة تمثل فاتحة التطور في
شعر ابن عثيمين .

« لاميته »

وبعد ثلاثة أعوام وفي سنة ١٣٤٦هـ رأينا ابن عثيمين يكرر (نصيحته) السابقة للعالم
الاسلامي ويضرب مثلا بالاصلاح العظيم الذي أدخله الأمام عبد العزيز على بلاده
فيقول :

اليكم بني الاسلام شرقا ومغربا
هلموا إلى داعي الهدي وتعاونوا
وقوموا فرادى ثم مثنى وفكروا
بأن أمام المسلمين «ابن فيصل»
فقد كان في نجد قبيل ظهوره
تهارش هذا الناس في كل بلدة
فما بين مسلوب وما بين سالب
فأبدلكم ربي من الفقر دولة
بيمن إمام أنتمو في ظلاله
به الله أعطانا حياة جديدة
نصيحة من تُهْدِي اليكم رسائله
على البر والتقوي فانتهم أمائله
تروا أن نصحي لا اغتشاش يداخله
هو القائم الهادي بما هو فاصله
من الهرج ما يبكي العيون تفاصله
ومن يتعدَّ السور فالذئب آكله
وأخر مقتول ، وهناك قاتله
وبالذل عزا يز خصما يناضله
يدافع عنكم رأيه وذوابله
رفهنا بها من ضنك بؤس نطاوله

« بائيته الثانية »

وتنتهي معركة السبلة بانتصار حاسم للملك عبد العزيز على خصومه .. كان ذلك في
سنة ١٣٤٧هـ بعد مضي ثلاث سنوات من زورة الشاعر للملك عبد العزيز على تقديمه له

قصيدته (اللامية) فلا بد من أن يقول شيئاً في هذه المناسبة العظيمة .. وهكذا القي بين يديه (بائته الثانية) التي تمثل جانبا أكبر من تطور شاعريته وشعره في تأثرهما من كتب بالأحداث الجارية وتصويرها بفكرة شعرية متجددة ومتفتحة . وفيها يقول في تهنئة عبد العزيز بالنصر المبين :

أبى الله الا أن تكون لك العقبي ستملك شرق الأرض بالله والغربا

« رأيته »

وفي سنة ١٣٥٣هـ كانت حادثة المطاف المعروفة .. وقد منَّ الله على البلاد خاصة وعلى العالم العربي والاسلامي عامة بانقاذ حياة البطل المعلم من تلك الحادثة المدبرة ، وجاء ابن عثيمين ليُدليَ بدلوه بين مهثي الملك عبد العزيز بالسلامة والنجاة من الغدر المشين في بيت الله الأمين ...

وكم كان موقفاً جميلاً وملائماً للموضوع مطلع قصيدته في هذا الشأن :
الله في الأرض أطفاف وأسرار تجري بها عييراً للناس أقدار
وقد وصف الحادثة ووقعها الأليم وصفاً دقيقاً وأنحى باللانمته على مدبريها وجناتها ثم قال :

أن الأمام الذي راموا مكيدته له من الله حُرَّاسٌ وأنصار
حقاً إن شاعرية ابن عثيمين قد دخلت في عهد جديد . في المعاني لا في المباني .

« ميميته »

ولابن عثيمين (ميمية) قالها في شهر شعبان ١٣٤٧هـ عندما أقبلت وفود العرب تترى إلى ملك الحجاز ونجد : (ملك المملكة العربية السعودية) الموحدة فيما بعد وذلك بمناسبة انعقاد الجمعية العمومية في مدينة الرياض ، وقد استأذن الشاعر جلالته في القاء قصيدته فسمح له بذلك ولكنه عاد في مطلعها إلى وصف الأيتقُ الذُّلِّ .. ثم تدرج من ذلك إلى

مدح الملك عبد العزيز والثناء على الأمن الشامل الذي أظلم به بلاده على عادة شعراء
العرب القدامى ثم يقول :

فأمنها بالله من أرض جَلَّقِ إلى عَدَنِ مستسلما كل مجرم
فلا مُتْهِمٌ يَحْشِي ظلامه مُنْجِدِ ولا مُنْجِدٌ يَحْشِي ظلامه مُتْهِمِ

محمد بن علي السنوسي

ربما كان بعض بروز هذا الشاعر لأول مرة . ذا صلة ماً ، بما كان ينشر له بين آونة وأخرى بمجلة المنهل ، منذ أوائل العقد السابع من هذا القرن الهجري . وربما كان دخوله في حظيرة شعراء العصر السعودي الحاضر ، مديناً لعدة أمور ، منها جده في مطالعة كتب الأدب وحفظه للشعر قديمه وحديثه ، يضاف ذلك إلى القدوة الحسنة في عالم الشعر المعاصر التي هيئت له والتي يمثلها والده الشاعر العالم رحمه الله .

وربما يشتم الناقد الحصيف سريان تيارٍ خفيف لطيف من روح شاعرية والده في بعض قصائده برغم أنه خلق بعيداً في عالم الشعر العصري وأتى فيه بما لذ وطاب . والمعاصرة تذهب المناصرة كما يقولون ، ولكن الحق أبلج والباطل للجلج ...

وشعر محمد بن علي السنوسي ذو انطباعات قوية ساحرة ، وخيال رائد ، ولذا كانت مجلة المنهل قد لقبته بشاعر الجنوب ، ولذا كان هذا التلقيب فيما يبدو لي في محله ، ولا يتجاوز أقطار الحقيقة .

لقد أطلق محمد بن علي السنوسي أجنحة طائر شعره فحلّق بعيداً في الاجواء وارتاد رياض الشعر الغناء فاجتني منها (أزاهير) جعلت (أغاريد) مطربة معجبة ، وزين لذلك شعره بـ (قلائد) الورد والياسمين ، وكل عطر ثمين .. فكان بذلك شاعر (شعراء الجنوب)^(١)

« عينيته »

هذه القصيدة العينية قالها مُجَيَّبِي بها الملك عبد العزيز ، وقد ألقاها بين يدي أمير جازان بمناسبة عيد الفطر :

١ - الاغاريد والازاهير والقلائد أسماء دواوين ثلاثة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، أما (شعراء الجنوب) فهذا الديوان الذي أشرت مع محمد بن أحمد العقيلي في تأليفه ونشره

يا أبا فيصل ، وذاك نداء
 رفعت نحوك الشعوبُ أمانيه
 رفرفت حول جانبك قلوب
 وتسامت ممالك الضاد اذ ان
 وثنت جيدها العروبة واستذ
 كلها يستضيء من هذيه السا
 عظمت فيك عاهلا ملء بُرد
 كم به تُرأبُ الصدوع ويند
 شيم كوكب السمو حواله
 يقول الزهاوي :

اذا الشعر لم يهزرك عند سماعه
 فليس خليقا أن يقال له شعر
 ويبدو أن شعر محمد بن علي السنوسي هو من هذا الطراز الذي يهز المشاعر غالبا ..
 وقصيدته هذه التي سحبتنا من حديقته الغناء هذه الأبيات تنطبق عليها نظرية
 الزهاوي من ناحيتها الايجابية لا السلبية .

« قافيته »

ويقول في قصيدة (قافية) القافية في تحية تقدم بها من جازان الى الملك عبد العزيز :

فاهتف بيا عبد العزيز مناديا
 قل : يازعيم الضاد ياشمس الهدى
 ملأت رجابك أمة يهفو لها
 تتطلع الآمال في نظراتها
 ترجوك للجلِّي إذا ما استحكمت
 وتراجك للجلِّي إذا ما استحكمت

اولا تحس وأنت تقرأ هذه الأبيات هذه الأبيات أن حرارة نبضك قد أرتفعت ، وأن
 دقات قلبك قد تسارعت ، وأنت أصبحت في نشوة غامرة من هذه الأبيات البليغة

العامرة .. فاذا وجدت بين جوانحك ارتكاز هذه المعاني الغر فاعلم بأن هذا من بعض
هزات فعل الشعر الرائع للقلوب على مانبه اليه الزهاوي ..

ويعود فيقول :

ياسيد الصحراء جللها الحيا وسقى مرابعها السحاب الغيدق
خليت من الأنهار إلا أنها ذهباً تفيض وعسجدا تتألق
غبرت بها الأيام لم يكشف لها سر ، ولم يفتح عليها مغلق
وتكبرت الا عليك ، لأنها وجدتك تعطي باليدين وتغدق
في كل أونة وشارق ضحوة أمل يُطلُّ ، وفكرة تتحقق
والعيش صفو ، والحياة كريمة والشعب بالمنن الجسام مطوق

سبحان الله .. ماهذا النبعُ الغزير الصافي ، ذو الهدير المدوي الدافي ، والمنظر الساحر
غير الخافي ، والمخير الرائع الشافي ؟ كل بيت من هذه الابيات يقوم مقام قصيدة مجنحة ..

ووصف الشاعر للجزيرة بأنها وإن لم تكن ذات أنهار من ماء دفاق فقد سالت بها
أنهار من ذهب أسود ومن عسجد .. هو إلهام عصري في بيتٍ شعريّ .. والذهب الأسود هو
«النفط» والعسجد هو «الذهب والفضة» . وقوله عن الجزيرة أن القرون مرت عليها ،
وسرها الذي يكمن في باطنها قد حجب عن الأجيال السابقة حتى اذا جاء عهد الملك
الميمون فتحت له الأرض خزائنها وكشفت له مكنوناتها الغالية - وصفه هذا كله ، قمة في
تصويرات الشعر المبدعة .. ويمضي محمد بن علي السنوسي متتبعا لمآثر الملك عبد العزيز
فيقول عن منجزاته وعن معطاته لشعبه الوفي الأمين :

«منح» بساط الريح منها موكب وندى ، رصيف البحر منها مرفق
واليمُّ يزخر ، والساء مُرْتَةٌ ورصيف «جُدَّة» و المطار يصفق
ومواطن الحرمين تندى صحة زهراء ، وجه الأرض منها مشرق
ومؤسسات الطب سامقة الذرى تستكشف الداء العضال وتمحق
وعلى سماء «الحيف» من زهو العلا ألق ، ومن نور التقدم رونق
فعلام يختلق العدو اشاعة يندى لها وجه الكريم ويعرق ؟
إلأنَّ في «المستعمرات» طوائفا لَبَّتْ نداء الحج فهو يعوق ؟!

أم أن مؤتمر الهدى قد غاظه فمضي بالسنة الوباء يفرق ؟
هيئات قد كشف الغطاء وقد صحا وعي العروبة واستفراق المشرق (١)

« ميميته »

وللسنوسي الصغير (٢) ميمية لا تقل مكانة عن «عينيته» و«قافيته» فكل واحدة منهن
فرس رهان . وقد نشرت هذه الميمية في العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة لمجلة المنهل
الذي صدر في شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ نوفمبر ديسمبر ١٩٥٣م وهو الشهر الذي
انتقل فيه عبد العزيز إلى جوار ربه قال السنوسي :

صقر الجزيرة عاهل الإسلام من ذا يكافح عنهما ويحامي ؟
ضجت شعوب الأرض لما قيل قد أودى المناضل عن حماها ، الرامي
ريعت لمصرعك النفوس وزلزلت قم النهي ، وشوامخ الأحلام
تثقلب الأكباد منه على لظى ألم ، كوخز طُبي ورشق سهام
يشتد لاعجها الوقيذ وتلتظي شعلا تطاير في هيب ضرام
ذابت حناياها وألهبا أسى خطب أصم مسامع الأفهام
تأبى على حق القضاء وصدقه وتلوذ بالاحلام والاوهام
وتشيع عن وجه الحقيقة رهبة وجوى تنظر من رواء لثام
نظرت إلى شمس الوجود فهاها رهب الغروب ووحشة الاظلام
في الشرق والغرب البعيد وجيبها في العالم العربي ، والاسلامي
فاذا انتهى الشاعر من تصوير الهول العظيم والكرب الصارخ الذي نزل على العالم
نزول الصاعقة ، فجلل البشرية بأردية سود من الحزن العميق ، وبرح بها الالم الذي
لاتطبق له تحملا ، عاد إلى (نبا النعي) المروع فصور شدة وقعه على عواصم العالم

١ - نشرت هذه القصيدة بمجلة المنهل

٢ - وصفنا له هنا بالسنوسي الصغير هو بالنسبة للسنوسي الكبير الذي هو والده فلا يدخلن في روع أحد أننا نرمي الى أي

شيء خلاف ذلك .

العربي : هذا العالم الحسير الذي فقد بطله المعلم الباذل كل جهوده في سبيل نهوضه
والذائد عن حياضه بالفعال قبل الأقوال :

نبأ كقصف الرعد هز دويه قلب «العراق» وذات «قلب الشام»
ضجت له «مصر» الشقيقة لوعة وارتاع في «صنعا» فؤاد دام
وتفطرت «لبنان» حزنا وانطوت «عمان» في شجن من الأيلام
تبيك يا «عبد العزيز» بأكد حرّي وأدمع ناظر سجام
فقدتك في حلك الخطوب وقددحت طخياء تعصف كالحضم الطامي
ذكرت مواقفك العظيمة كيف لا والبدر يذكر عند كل ظلام

وبمناسبة ذكر الشاعر لمواقف الملك عبد العزيز البطولية الخالدة فقد ناسب ذلك أن
يتتبع الشاعر مواقع تلك المواقف فيجليها للقراء ، والحديث كما يقولون ذو شجون ، ولكل
مقام مقال ، وهاهو ذا يقول في تصوير قيم هذه المواقف :

كم في ربي الصحراء وهي صحائف نشرت سطور بطولة وصدام
لك في روايتها وفي غاباتها «وثب» يهز مناكب الأعلام
ضرباً وطعنا يستحجر أجيجه في معمعان الكر والاقدام
غارات حامى الانف ، يرعف سيفه علقا، ويثلم حد كل عرام
عقد الغبار على جبينك تاجه تاج المغير وحيلة المقدام
تاج على فرق تآلق نوره وهجاً على التاريخ والأيام
مشت الجزيرة في ضياء جلاله وتبخترت في ظله المترامي

وأخيراً يعود لتبأ نعي الملك المغفور له ويصف بعض أعماله الخالدة بالمناسبة :

لبي نداء الحق موقور الهدى ومضى نقيّ الذيل والاكهام
وأجاب دعوة ربه من كان في نصر الاله مظفر الاعلام
يمضي على سنن الرشاد وهديه ويذود عن أحواضه ويحمي
الله غضبته وفيه رضاؤه صعب على العذال واللوام

ويحتتم (مرثيته) بقوله لصقر الجزيرة الذي تواري تقديرا وأكبارا لاعماله الخالدة :

ضقر الجزيرة ، والجزيرة غابة
نم في حمي التاريخ غير مروع
لوددتُ أن يدي تطول فأنتقي
فلقد تقل لك النجوم مراثيا

«آل السعود» بهاليوث صدام
واهجع فقد أيقظتَ أي نيام
زهر الكواكب في عقود كلام
غراً فكيف شوارد الاقلام؟!

نظر أحمد السهسواني

أحد شعراء الهند المعاصرين وقد بعث بقصيدته (الدالية) مع الوفد الهندي ، لتلقي باسمه واسم مسلمي الهند بين يدي الملك عبد العزيز وذلك عند ولايته على الحجاز بسنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م وقد جعل عنوانها : (من مسلمي الهند) .. أبرز فيها شعوره وشعور مسلمي الهند حيال الحكم الاسلامي العربي الجديد لهذه البلاد .

وكان مسلمو الهند قد استقبلوا الحكم السعودي بالترحيب والتقدير .

« داليتة »

يقول الشاعر نظر أحمد :

قلله قوم قد ترفع قدرهم
بعبد العزيز بن السعود أخى السعد
أمام رعى الله أمر عباده
فعاش الورى في عهده أوسع الرغد
وزارته أعلام الرجال فأقبلوا
اليه من الامصار وفداً على وفد
ويسري اليه الركب من كل جانب
من الصين أو إيران والهند والسند

يصف الشاعر في الايات المتقدمة الملك عبد العزيز بأنه «امام تقي» ويصفه فيما بعد بأنه (هام بطل) لايشق له في البطولة غبار .

هام اذا ماشاء صبح مأزقا
بسمر العوالي والمظهمة الجرد
فيا أيها المولى الذي ذكره جرى
على ألسن الاقوام بالشكر والحمد
بلوت صروف الدهر حتى غلبتها
وجربت من حاله في الحر والبرد
لأنت أمرؤ كالسيف يرجى وتتقى
بواده عند المزاحة والجد

ثم حيا عبد العزيز تحية صادرة من أعماق قلب عامر بالود والاخلاص وعطف على تحيته ومدحجه له ، ابلاغه لممدوحه الكبير تحيات مسلمي الهند ، قال في ختام «داليتته» :
وحيت من ملك كريم وماجد عليك سلام الله من مسلمي الهند^(١)
هذا ويسترعي انتباه الناقد حيال هذا الشعر العربي الرصين ان ناظمه هو أحد مسلمي الهند ، وقد حفزته حماسته للإسلام وحبه للملك العربي الظافر إلى أن ينظم هذه القصيدة ويبعث بها اليه مع الوفد الهندي الذي زار هذه البلاد في طلائع استيلاء الملك عبد العزيز عليها ... وإذا تأملنا القصيدة وجدناها تعكس انطباعات الثقة والشعور ، بأهمية حكم الملك عبد العزيز كما نجد فيها أيضا أريج انطباعات الشعب المسلم في الهند نحو هذا التطور الحميد الذي حدث بولاية عبد العزيز لأمر الحجاز ... مما يدلنا على حسن تقدير العالم الاسلامي يومذاك للامور وتبصره بأن ماحدث في البلاد المقدسة هو من نعم الله وفضله على أهل الحرمين الشريفين ، ولخير الاسلام والمسلمين .

وشيء آخر لابد من ذكره هنا .. وهو أن هذا الشاعر المسلم الهندي تميل شاعريته إلى احتقاب الاسلوب والمنهج العربيين القديمين في مدحجه ووصفه معا .. ولعل لذلك علاقة ما بدراسته للشعر العربي القديم الذي كان ومازال يُدرّسُ في مدارس الهند الاسلامية على ما أعلم باهتمام وعناية .

مثلا : ذكر في قصيدته : (سمر العوالي) - وهي الرماح ، وذكر (المطهمة الجرد) وهي من صفات الخيل . وذكر (السيف) .. وهذه أمور وأدوات كانت تستعمل في المعارك فيما قبل العصر الحديث ، فلما تطورت معدات الحرب من تلك الآلات إلى أخرى حديثة ، لم ير الشعراء الحديثون الحفاظ على تلك الاوصاف لأنها أصبحت أثرية متروكة .. ولكن الشعراء العرب وغير العرب الذين درسوا في معاهدهم أو جامعاتهم الشعر الجاهلي فحسب ظلوا محافظين في أشعارهم على هذا النمط ، كتراث قيم لا يرون التخلي عنه ، وأن تخلى عنه أبناء العصر ، وذلك المنهج هو الذي سلكه الشاعر نظر أحمد السهسواني .. على ان السهسواني كما أرى - قد جاوز المدى في شعره العربي وأبرز لنا أنه شاعر قدير ذو موهبة شعرية بارزة للعيان .

١ - نشرت هذه القصيدة في جريدة أم القرى بالعدد ذى الرقم ٤٨ الصادر في ١١ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٧

نوفمبر ١٩٢٥ .

القسم الأول
شعر الملاح

خالد بن محمد الفرج

في

ماحمة « أحسن القصص »

سيرة مهالبة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل السعود ملك الحجاز ونجد ومحقاتها

الملحمة الأولى

(شعر الملاحم) لا يزال قليلا ، بالنسبة لشعر غير الملاحم ، في الشعر العربي وذلك لأن شعر الملاحم يقتضي احاطة شاملة بالتاريخ ، وقدرة عالية في الشعر العمودي .. ومن أوائل من طرّفه لدينا (خالد بن محمد الفرج) في ملحمة التي سهاها (منظومة أحسن القصص)^(١)

وهذه الملحمة بكاملها ، لها عدة مزايا ، فقد قيلت في أعمال بطولة الملك عبد العزيز وطبعت في حياته بعد أن قدمها المؤلف لجلالته ..

قال ناظمها في مقدمتها : (أما بعد يا صاحب الجلالة : أن من المأثور عن جلالكم هذه الكلمة الحكيمة : (أحب سماع الشعر ، ولكن نوعين منه لا أحبهما : الهجو ، والغلو في المديح) . وهذه منظومة تحتوي على سيرة جلالكم نظمتموها للحقيقة والتاريخ ، فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد ، وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة باكاليل الفخار ، وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها إلى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها

١ - طبعت هذه المنظومة (الملحمة) في سنة ١٣٥٠هـ بالطبعة العربية بمصر في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط وشكلت حروفها في الطبع .

وجلائلها .. نظمتها للأمة العربية التي رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة أطال
الله بقاءكم حتى تتم للأمة العربية أمانها على يدكم) (خالد بن محمد الفرج)
وقد كتب محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى المحتجبة (مقدمة) لها وهي :
(أطلعني صديقي الشاعر الكبير واضع هذا السفر النفيس على كتابه ، قبل ازمامه
طبعه ، ورغب إلي أن أفصح عن رأبي فيه فكتبت اليه : ماذا يقول القائل في كتاب اجتمع
فيه الادب الصحيح ، والشعر البليغ ، والتاريخ المحقق .

أن (أحسن القصص) لديوان من عيون الدواوين ، في سيرة من أفضل السير ولا
أدرى : أيُّهُنَّ الأستاذ الناظم المؤلف الشيخ خالد الفرج ، بما وفق اليه من الابداع في
كتابه ؟ ام أيُّهُنَّ صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأن تولى صياغة تاريخه الخالد ،
قلم الاستاذ خالد ؟ ام أيُّهُنَّ أدب العرب بالذرة الجديدة يحلى بها عقده التنظيم ؟
إلا أن المؤلف وصاحب الجلالة وأدب العرب جميعاً لمهتأون بالكتاب بارك الله بؤلفه
النابعة (وجزاه عن العرب والعربية خيراً) .

محمد علي الطاهر

صاحب جريدة الشورى

وقد جعل المؤلف ملحمة في عشرين فصلاً ، وكل فصل يشتمل على موضوع خاص
به والتزم في الشطر السابع روي حرف الراء المكسورة .

مميزات الملحمة :

يبدو أن من أهم مميزات العرض الصادق الجميل لسيرة الملك عبد العزيز بدون
مغالة ولا شطح ولا تهويل .. فان خالد الفرج - كما نعرفه - متزن هادئ وصادق فيما
يقول .. ومن مميزات فصاحة البيان ووضوحه وشموله لتاريخ آل سعود وعرضه لوقائعه
وأحداثه وملابساته في ثوب قشيب منسجم ، لا حشوفيه ولا ركافة ولا جمود .. وامتازت
بالشرح الذي وضعه ناظم الملحمة في الصفحات اليسارية من الديوان ... فما أجمله الشعر
ولم يستطع تفصيله بالنظر لقيود الوزن والقافية ، يفصله «الشرح الثري» بجانبه .. فلا
يخرج القارىء من مطالعة الملحمة الا ويكون قد استوعب سيرة الملك عبد العزيز وسير

اسلافه وما حدث له أو عليه من الحوادث السارة وغير السارة ومن الانتصارات والهزائم ومن المسرات والأتراح ... والملابس الأخرى .. وكعادة أصحاب الملاحم الشعرية عالج الشاعر الوزن والقافية .. فاما الوزن فقد وَحَدَهُ وجعله كله من بحر الخفيف ، وأما القافية فغيرها حسب اقتضاء الحوادث والمقال والحال ... وقد جعلها «سباعية» الأشطار .. ليسهل عليه ذلك عبه إدراج حوادثها في الشعر العمودي الأصيل .. وخالد الفرغ يمتاز شعره بطابع القوة وبالجمع بين القديم والحديث .. وقد كان لرحلاته وثقافته أثر بارز في روعة شعره وطول باعه في الأدب عامة .

« مطلع الملحمة »

أستهل الشاعر ملحتمه بقوله :

هو ذا الدهر أكبر الأسفار
فيه أسمى العظائم والاعتبار

والأسفار الواردة في هذا البيت الأول جمع «سفر» بكسر السين المهملة بعدها فاء ساكنة ..

والسفر هذا بمعنى الكتاب قال تعالى : (كمثل الحمار يحمل أسفارا)

ما الليالي فيه سوى أسطار
في طروس من نسج ضوء النهار

جميل جدا هذا التعبير المبتكر : (الليالي في الدهر سطور مرقومة في نسج من ضوء النهار

ملأت من تصادم الأعصار
صفحات ملئن بالآخبار لذوي الاتعاض والابصار

مقدمة بديعة تتلاءم مع موضوع الملحمة وتتجاوب معه كل التجاوب .. وهي «افتتاح» حديث للشعر العربي في شعر ملاحمه وفي شعر ملاحمه على السواء ..

هو هذا فافتحه سفر الخلود
حافل بالقديم بله الجديد
فيه ذكرى «فرعون» و «النمرود» .
وجديس وطسم بعد ثمود
ثم روما وفارس والهنود
ورجال الالياذ والتلمود وعجيب الأقبال والأدبار

ثم دخل في الموضوع فقال :

هو هذا فتى وسيم أغر
عاش ما بين أهله وهو حر
ولسوده إذ المربع خُضِرُ
ثم أضحى أبوه والكف صَفْرُ
نائيا عن بلاده وهي وكر
هو عَيْشٌ لدى الأبيين مر كيف يقضي حياته بمرار؟

وقد بدأ الشاعر ملحمة بحياة عبد العزيز وهو طفل صغير .. تقلبت عليه ظروف
«الحياة» وهو ناعم الأظفار ، من نعيم مقيم إلى متاعب لحقت به هو ووالده فنأى عن مدينته
التي كانت أول أرض مس جلده تراها مقصيا ، فهي قد أصبحت وكرا لأعدائهم :
ويستمر الشاعر في وصف مراحل حياة الطفل (الذي أصبح شابا) :

هو «عبد العزيز آل سعود»
كامن سره بعين الوجود
وَحُبَّاً ليومه الموعود
مثل سيف في غمده مغمود
أو كمنار الزناد في الجلمود
أو كعرف الشذا برند العود واللالى في غامض المحار

ومضي يتتبع مراحل حياته مرحلة بعد مرحلة إلى أن جاء غازيا لمدينة الرياض ودخلها
في الهزيع الأخير من الليل وأقتحم حصنها الحصين على «عجلان» فأرداه هو والأربعين من
رجالته الذين كانوا معه في وثبته التاريخية وفي هذا يقول خالد الفرج :

ليلة السطو من عظام الليالي
لثلاث خلون من شوال
جاء فيها الكمني بالابطال
لفعال من أعظم الأفعال
كيف يسطو عليه والسور عال

فتصدي لباب بعض الموالى طالبا مالمديه من أبقار

فتح الباب بعد قال وقيل
عرفوه بالصوت بعد قليل :
عمنا : عمنا : وهم في ذهول
فتراموا عليه بالتقبيل
فتخطي للمنزل المأمول

زوج عجلان ، فيه ذات نزول عله عندها بذاك النهار

ودار حوار بين عبد العزيز وامرأة عجلان عن مكان عجلان في القصر قالت له فيه
مشيرة إلى مكان زوجها في داخل القصر :

كان عندي عجلان ليلة أمس
وهو الآن داخل القصر يمي
أه عبد العزيز تفديك نفسي
أنا أخشي ، فانه رب بأس
فدعاها إلى السكوت بهمس

وغدا وهو في رجاء ويأس يشرب البُنُّ فوق ضوء النار

بَدَتْ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ الْهَضَابِ
فَتَبَدَّى «عَجْلَان» وَسَطَ الرَّحَابِ
فَغَدَّتْ نَحْوَهُ لِيُوَثِّبَ الْغَابِ
فَتَوَلَّى بِحَيَّةٍ وَاضْطْرَابِ
ثُمَّ أَصْبَاهُ لِيُثَابِ بِالْبَابِ
مَاسِكًا رِجْلَهُ مَعَ الْأَثْوَابِ
وَعِنْدُنَا:

أَفَلَتَتْ رِجْلَهُ مِنَ الْكُفِّ سِرًّا
إِذْ رَأَى الْمَوْتَ كَالْحَا مَكْفَهْرًا
كَأَنَّ يَنْجُو لَكِنْ «أَبُو فَهْدٍ» كَرًّا (١)
فَسَقَاهُ كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرًّا
صَارَ شَفَعًا بِهَا وَقَدْ كَانَ وَتَرًا
ثُمَّ نَالُوا مِنَ الْبَقِيَّةِ وَتَرًا وَشَفَاءَ النَّفْسِ أَخَذَ الثَّرَا



ويهدى المغامرة الفريدة نجحت غزوة فتح الرياض نجاحا منقطع النظير، وصارت
مضرب الامثال ...

ثم نادى بحكم آل السعود وأتاه الأهلون بالتأييد
وتمضي الملحمة في وصف انتصارات عبد العزيز بعد ذلك من معركة البكيرية إلى
معركة روضة مهنًا، إلى فتح الأحساء، ومعركة العجمان، وفتح باب الهجر للبدو، ووقعة
تربة، إلى الاستيلاء على حائل، وعلى أمها، ثم الاستيلاء على الحجاز، وتأسيس المملكة
العربية السعودية، كأول دولة عربية متحدة قلبا وقالبا في العصر الحديث ... كل هذا
صورته ملحمة خالد الفرج خير تصوير شعري .. وأتت فيه - شعرا - بالاجمال، ونثرًا -
بالتفصيل .

عبد القدوس الانصارى

جدة في ١٧/٢/١٣٩٤هـ

الموافق ١١/٣/١٩٧٤م

١ - أبو فهد كنية عبد الله بن جلوى ابن الامام تركى أمير الاحساء سابقا «المؤلف»

الفارس

كشاف بأسماء الأعلام

«أ»

١٣٦-١٢٦-١٢٤-١١٥-٧٨-٥٧ :	آل سعود
١١٣ :	آل خليفة
٤٨-٤٧ :	ابن خلدون
٣٨-٣٧ :	ابن رفاة
٦٨ :	ابن رشيق
- ١١٠-١٠٢-٩٩-٦٠-٣٨-٣٦-٣٥ :	ابن سعود
١١٥-١١٤	
١١٧-١١٠ :	ابن فيصل
٦٢ :	ابن الوليد
٦٢-٦٠ :	أبو الإقبال
٤١ :	أبو تمام
١٣٦ :	أبو فهد
٩٥-٨٩-٦٩-٥٣-٣٨-٣٣ :	أحمد بن إبراهيم الغزاوي
١١٣ :	أحمد الرحباني
١٠٠-٩٥-٧٧-٧١-٥٣-٤٤-٤٢-٤١ :	أحمد فتحي
١٠٧-٤٩-٤٨-٤٥ :	أحمد قنديل
١٠١ :	الأخطل الصغير
٤٨ :	الأصمعي
٩٨ :	امرؤ القيس
١١٢ :	أمين بكري الشيخ
٤٦ :	الأنباط

« ب »

- ٤٧ : بربر
٤٢ : بشار بن برد
١١٢ : بنو خالد
٤٧ : بنو سليم
٤٧ : بنو العباس
٤٧ : بنو هلال
٢٧ : بولس سلامة

« ت »

- ١٠٦ : تشرشل

« ث »

- ١٣٤ : ثمود

« ج »

- ١٣٤ : جدیس

« ح »

- ٨٧-٥٥-٣٣ : حافظ إبراهيم
٣٦-٣٣ : حسان جلالة الملك عبدالعزيز
٦٠ : حسان فلسطين
٤٨-٤٧ : حسن حسني عبدالوهاب
٥٢ : الحسن بن هاني
٥٣-٥٢ : حسين عرب

« خ »

- ١٣٦-١٣٥-١٣٣-١٣٢-١٣١-٤٦-٢٩-٢٧ : خالد بن محمد الفرج

خير الدين الزركلي : ٤٥ - ٤٨ - ٥٣ - ٥٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٣ - ٦٤ -

٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٨٩ - ٩٦ - ١١١

« ر »

٦٧ : رؤية بن العجاج

٤٧ : رباح

٨٢ : ريعة

٥٥ : الرصافي

٦٢ : الرشيد (هارون)

١٠٦ : روزفلت

« ز »

٤٧ : زغبة

٤٧ : الزناتيون

١٢٢ - ١٢٣ : الزهاوي (صدق)

« س »

٤٦ : سليم

٤٧ : السلميون

٦٠ : سليم أبو الاقبال اليعقوبي

٨٥ : سليمان

١١٣ : سعد بن حمد بن عتيق

١١٣ : سعد بن عبدالعزيز بن رويشد

« ش »

٣٣ - ٨٧ : شوقي (أحمد)

« ص »

- ٤١ : صالح جودت
١٢٦ - ٩٦ - ٨٢ : صقر الجزيرة
٦٢ : صلاح الدين

« ط »

- ١٣٤ : طسم
٨٧ : الطيب الساسي

« ع »

- ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٠ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٧ - ٢٥ : عبدالعزيز آل سعود
- ٥٠ - ٤٨ - ٤٤ - ٤٣ - ٤١ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦
- ٥٨ - ٥٧ - ٥٦ - ٥٥ - ٥٤ - ٥٣ - ٥٢ - ٥١
- ٦٧ - ٦٥ - ٦٤ - ٦٣ - ٦٢ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩
- ٧٨ - ٧٧ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٧١ - ٧٠
- ٨٧ - ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٨٠ - ٧٩
- ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٨٨
- ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٦
- ١١٢ - ١١١ - ١٠٩ - ١٠٧ - ١٠٦ - ١٠٥
- ١٢١ - ١١٩ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٤ - ١١٣
- ١٣١ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٥ - ١٢٤ - ١٢٣ - ١٢٢ :
- ١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٢
١٠٧ - ٧٠ - ٤٥ - ٦٢ - ٦٣ : عباس محمود العقاد
١٣٦ - ٢٤ : عبدالقدوس الأنصاري
- ٧١ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٧ - ٥٥ - ٥٣ - ٣٣ : عبد المحسن الكاظمي
٩٥ - ٨٧ - ٧٥ :
١٣٦ : عبد الله بن جلوي

- ١١٣ : عبد الله بن محمد الخزجي
 ٧٧-٧٦-٧٤-٧٣-٥٧-٥٣ : عبيد مدني
 ١٣٦-١٣٥-٨٩ : عجلان
 ١٣٦ : العجمان
 ٣٥ : عدنان
 ٧٩-٧٩-٧٨-٥٣ : علي أحمد باكثر
 ٩٦-٩٠-٨٥-٨٤-٨٢ : علي بن محمد السنوسي
 ٢٤-٢٣ : علي محمد العمير
 ١١٢-١١١ : عمر رضا كحالة
 ٨٧ : عمر الطيب الساسي
 ٦٧ : عمرو بن كلثوم
 ٤٧ : عدنان بن جابر الرداسي

« ف »

- ٨٨ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٢ - ٣٦ - ٢٥ - ٢٣ : فيصل (الملك)
 ١٢٢-١١١
 - ٩١ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٤ - ٧١ - ٥٥ - ٥٣ : فؤاد الخطيب
 ٩٥-٩٣-٩٢
 ٩٩-٩٨-٩٧-٧٣-٦٠ : فؤاد شاكر

« م »

- ٥٨ : محمد (ﷺ)
 ٨٢ : مضر
 ٤٦-٤٥ : مرتضى الزبيدي
 ١٢١-١٠٧-١٠٦-١٠٥-١٠٠-٧٧ : محمد أحمد العقيلي
 ١١٥-١١٤-١١٣-١١٠-٩٠-٨٨-٨٥ : محمد بن بليهد
 ٨٧ : محمد سرور الصبان
 - ١١٤ - ١١٣ - ١١٠ - ١٠٩ - ٨٥ - ٨٤ : محمد بن عثيمين
 ١١٨-١١٧-١١٥
 ٤٨ : محمد العروسي المطوي
 - ١٤٣ -

- محمد بن علي السنوسي : ٨٢ - ٩٦ - ١٠٥ - ١٢١ - ١٢٢ -
- ١٢٣ - ١٢٤
- محمد علي الطاهر : ١٣٢
- محمد بن مانع : ١١٣
- المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين) : ٩٩
- « ن »
- نزار : ٣٨
- نصر : ٤٦
- نظر أحمد السهسواني : ١٢٨ - ١٢٧ - ٥٦
- النابعة الذبياني : ٥٦
- النمرود : ١٣٤
- نابليون : ٨٠
- « هـ »
- الهاليون : ٤٧
- فارس سعد : ١٠٢ - ١٠١
- فرعون : ١٣٤
- « ق »
- قحطان : ٨٢
- همام : ٧٨
- الهنود : ١٣٣
- « ي »
- يعرب : ٣٨ - ٣٦

كشاف بأسماء الأماكن

« أ »

أبها	: ١٣٦
أجباد	: ٥٧
أحد	: ٦٩-٩٥
الاحساد	: ١١٣-١١٤-١١٥-١٣٦
افريقية	: ٤٧-٤٨
أم صبح	: ١١٠
أم القرى	: ٥٧-٧٠-١٠٩-١١٠
الأهرام	: ٥٤
ايران	: ١٢٧

« ب »

البحرين	: ١١٣
البحيرة	: ١٠٦
البكيرية	: ١٣٦
البيت ، بيت الله الحرام	: ٥٧-١٠٧
بيروت	: ٥٥-٦٥-١٠١

« ت »

ترشيش	: ٤٧
تونس	: ٤٧

«ج»

- جازان : ١٢٢-١٢١-١٠٦-١٠٥-٨٢ :
جامعة الملك عبد العزيز : ٢٥ :
جبيرين - بويرين : ٨٩ :
جدة : ٩٤-٩٣-٧٣-٧٠-٥١-٥٠-٤٨-٢٥ :
١٣٦-١٢٢-١٠٧

- الجزيرة (جزيرة العرب) : ٥٩-٥٧-٥٣-٤٨-٤٦-٣٩-٣٧-٣٤ :
٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٤-٨٣-٨٢-٧٩ :
٩٢-٩٤-٩٦-٩٨-١٠٢-١٠٦-١٠٩ :
١٢٦-١٢٢

١١٩ :

جلق

٤٩ :

الجموم

«ح»

- حائل : ١٣٦-٩٥-٧٠-٦٩ :
حاجر : ٤٧ :
الحجاز : ٧٦-٧٠-٦٣-٥٦-٤٨-٤٦-٤٥-٣٦ :
١١٨-٩٥-٩٤-٩٢-٨٠-٧٨

١١١ :

الحجون

حرم ، الحرمان : ١٢٨-١٢٣-٩٥-٧٩-٣٥ :

٤٨ :

حضر موت

٤٦ :

الحنان (باليمن)

«خ»

٤٧ :

خراسان

١١٣ :

الخرج

- الخليج العربي : ١١٣
- الخييف : ١٢٣
- « د »
- دار الهلال : ٤١
- دمشق : ٤٦
- « ذ »
- ذات غسل (قرية بنجد) : ١١٢
- « ر »
- رأس المتن : ١٠١
- روضة الخفس : ٧٦-٧٣
- روما : ١٣٤
- روضة مهنا : ١٣٦
- الرياض : ٥٢ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٩ - ٩٥ - ٩٧ - ١١٣ -
- ١١٥ - ١١٨ - ١٣٥ - ١٣٦
- « ز »
- زمزم : ٥٧
- « س »
- السبلة : ١١٧
- السعودية (المملكة) : ١١١
- سلع : ٤٧

١١٣ :	السلمية (بلد بنجد)
١٢٧ :	السند
٤٧ :	سوسة
« ش »	
٣٨ :	شار (جبل)
١٢٥ - ٤٧ - ٤٦ :	الشام
« ص »	
١١٥ :	الصراة
٥٧ :	الصفاء
٤٧ :	صفاقس
١٢٥ :	صنعاء
١٢٧ :	الصين
« ط »	
٤٦ :	الطائف
« ع »	
١١٩ :	عدن
١٢٥ - ٤٧ - ٤٦ :	العراق
٣٦ :	عسير
١٠٩ :	عكاظ
١١٣ :	العمار
١٢٥ :	عمان

« ف »

١٣٤ : فارس (إيران)

٦٠ : فلسطين

« ق »

٩٢ : القصر الملكي

١١٣ : قطر

١٠٦ : القطر المصري

١١٤ : القطيف

٤٧ : القيروان

« ك »

١١١ : ككب

٥٦ : الكعبة

« ل »

٣٦ : لاهور

١٢٥ - ٩١ - ٩٠ : لبنان

« م »

٦٣ : المحروسة

١١٦ - ٧٦ - ٧٠ - ٤٦ : المدينة

١٣١ - ١٢٥ - ١٠٧ - ٦٥ - ٤١ : مصر

١١١ : المعابدة (محلة مكة)

المغرب : ٤٧ :

المملكة العربية السعودية : ٢٥ - ٣٦ - ٤٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٧٦ - ١٠٢ -

١١٢ - ١١٨ - ١٣٦

مكة المشرفة : ٣٥ - ٤٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٧٠ - ٩٢ - ١٠٩ -

١١٠ - ١١١

« هـ »

الهند : ١٢٧ - ١٢٨

« و »

وادي فاطمة : ٤٨ - ٤٩ - ٩٣

الوشم : ١١٢

« ى »

البيخت الملكي : ٦٣ - ١٠٧

اليمن : ٤٥ - ٤٦ - ٤٨

مراجح الكتاب

مراجع الكتاب

- جريدة أم القرى
العمدة في صناعة الشعر ونقده - لابن رشيق
مجلة الأديب
لسان العرب
القاموس المحيط
تاج العروس
ديوان النبط - لخالد بن محمد الفرج
ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية - لحسن حسنى عبد الوهاب : جمع وإشراف محمد العروسي
المطوى
جريدة البلاد السعودية
وحى الفؤاد - لفؤاد شاكر
مارأيت وما سمعت - لخير الدين الزركلى
معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة
العقد الثمين - شعر محمد بن عثيمين
شعراء الجنوب
همام - لعلى أحمد باكثير
مجلة المنهل
ديوان النابغة الذبياني
الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية - لأمين بكرى الشيخ
ديوان المتنبي
بنو سليم - لعبد القدوس الأنصارى
مع عاهل الجزيرة العربية - لعباس محمود العقاد
شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز - لخير الدين الزركلى

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة أ. د / محمد بن مريسي الحارثي
٢٣	تقديم ... وتقديم
٢٥	لماذا اخترت هذا الموضوع : الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر
٢٧	بين يدي البحث
٢٨	منهج البحث
٢٩	عشرون شاعرا
٣١	القسم الأول : شعر الملامح
٣٣	أحمد بن إبراهيم الغزاوي
٤١	أحمد فتحي
٤٥	أحمد قنديل
٥٢	حسين عرب
٥٥	خير الدين الزركلي
٦٠	سليم أبو الاقبال
٦٣	عباس محمود العقاد
٦٧	عبد المحسن الكاظمي
٧٢	عبيد مدني
٧٨	علي أحمد باكثير
٨٢	علي بن محمد السنوسي

٨٧	فؤاد الخطيب
٩٧	فؤاد شاكر
١٠١	فارس سعد
١٠٥	محمد بن أحمد العقيلي
١٠٩	محمد بن بليهد
١١٣	محمد بن عثيمين
١٢١	محمد بن علي السنوسي
١٢٧	نظر أحمد السهسواني
١٢٩	القسم الثاني : (شعر الملاحم)
١٣١	خالد بن محمد الفرج (في ملحمة أحسن القصص)
١٣٩	كشاف بأسماء الأعلام
١٤٥	كشاف بأسماء الأماكن
١٥٣	مراجع الكتاب